مُشكلات عقلية وقلبية للإنسان

- الترقيم الدولي : 977-5323-19-3
- رقـم الإيـداع : ٤٤٤٤ / ٩٩
- الطـبعة الثانية : (٢٠٠٤)

- حقوق الطبع محفوظة للناشر

- النـــاشـــر : شركة سوزلر للنشر
- العـــنــوان : ٣٠ شارع جعفر الصادق – الحي السابع – مدينة نصر – القاهرة جمهورية مصر العربية

تليـفـــون : ٢٦٠٢٩٣٨ (٢٠٢) +

تليفـاكـــس : ٢٦٣٠٥٣١ (٢٠٢) +

30 Gafar EL-Sadek St., 7th Nasr City

Cairo – Egypt.

Tel. : + 202 2602938

Telefax : + 202 2630531

http : // www.sozler.com.tr

دراسات في رسائل النور

مشكلات عقلية وقلبية للإنسان

الباحثة

خديجة النبراوي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾

(ق: ٣٧)

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين . الذى علمنا كيف نوجه عقولنا وقلوبنا إلى أسمى الغايات . حيث علمنا أن ذكاء المرء محسوب عليه .

وعلمنا أن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهى القلب ..

وبذلك علمنا كيف نواجه كل المشكلات بنور الإيمان.

وارض اللهم عن الإمام النورسى ، الذى تناول حقائق القرآن بما يشبع نهم عقولنا للتعرف على عالم الغيب ، وبما يزيد أنوار قلوبنا ويقيننا بوعد ربنا..

من هو الإمام النورسي ؟

سؤال يطرحه الكثيرون بعد قراءة أى مكتوب يصدر عن رسائل النور التى تبهرهم بأفكارها العلوية وأنوارها المعنوية.

وأنا أقول لكل من يتشوق إلى تنسم عبير ذلك الإمام الجليل:

- إنه الإمام العارف بالله، العالم الورع التقى، بديع الزمان، وكل زمان "سعيد النورسى".
- ولد عام ١٨٧٦ ، بشرق الأناضول بتركيا.. وانتقل إلى الرفيق الأعلى عام ١٩٦٠.. بعد حياة حافلة بالجهاد المادى والمعنوى فى أسمى صوره وأبلغ معانيه.
- لا يمكن بسهولة حصر النعم والمواهب التى أنعم الله بها عليه: فهو عالم متمكن من حدود الشريعة إلى أبعد مدى، ومتبحر فى علوم الحقيقة إلى ما شاء الله له الإبحار فى آفاق عالية، ومستوعب من العلوم الدنيوية ما لا يجاريه فيه عالم من علماء عصره.. وله السبق بفضل من الله – فى كل المزايا التى يمكن أن يحظى بها العلماء.
- كذلك لا يمكن بسهولة إطلاق صفة واحدة تدل عليه: فهو: عالم – عارف بالله – مجاهد – تقى – ورع – زاهد – متواضع – أديب – شاعر – مفكر – حكيم – إنسان بكل ما تعنيه تلك الكلمة من معان.
- أما عن دوره فحدث ولا حرج:
  - فهو المفكر العظيم صاحب حركة إحياء الفكر الدينى فى تركيا، حيث وهب حياته للحفاظ على الهوية الإسلامية فى تلك البلاد، التى تعرضت لأقصى ما تعرضت له دولة إسلامية، من غزوات الفكر الغربى.
  - وهو المجاهد الذى حمل السيف والقلم دفاعا عن الحق ضد الباطل، وأبرز فى كل الميادين قدرة فائقة وبسالة نادرة.

- ويكفيه شرفا وفخرا أن نقول: إنه صاحب رسائل النور، فهى تعتبر بحق زاد الدعوى الإسلامية لأجيال المستقبل، التى تحتاج إلى البرهان العقلى، والحكمة المستقاة من حقائق القرآن، وتتفق مع روح العصر.

◆ إن الإمام النورسى لا يمكن تعريفه فى سطور، فهو يحتاج إلى مجلدات ضخمة.. ولكن نقول لكل من يريد معرفة من هو ذلك الإمام الجليل بحق: انظروا إلى تلاميذه، ومدى وفائهم وإخلاصهم لشيخهم، ومدى النور الذى يشع من وجوههم الوضاءة بالإيمان، علاوة على ما فى قلوبهم من فيوضات ربانية وإلهامات نورانية.. بذلك تعرفون عظمة الأستاذ وجدارته، فى ترجمة معانى القرآن إلى رجال عظام.. حتى لو مرت السنون والأعوام الطوال على رحيله إلى دار البقاء.

فاللهم انفعنا بعلمه، ولا تحرمنا أجره. واجمعنا يا رب به مع الأحبة : "محمد وصحبه" إنك على كل شئ قدير وبالإجابة جدير.

وصلى الله على معلم البشرية الأكبر الحبيب المصطفى، إمام المتقين، وقدوة الداعين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

خديجة النبراوى

تمهيد عام

سيظل الإنسان يعيش دوما قلقا معذبا، فى ازدواجية رهيبة بين العقل والقلب، بين المادة والنور، بين متطلبات الجسد والروح، ما لم يؤمن بالله.. حيث التوحيد المطلق بين جميع لطائفه وأجهزته المادية والمعنوية، وتوجهها جميعا إلى الواحد الأحد.

وبدون ذلك التوحيد، سيظل الإنسان مشتتا ممزقا، مبعثر الأشلاء، سقيم الوجدان، لأنه سيعيش فى صراع طيلة حياته على الأرض، تحت وطأة تساؤلات العقل ومشاعر القلب، فى كل وقت يثوب فيه إلى رشده، أو عند ما تفجعه فاجعة من أحداث القدر، أو حينما تنوء بكاهله أعباء الحياة وأحزانها.

فإذا تساءل سائل: لماذا هذا الصراع؟

نقول من وحى كلمات الإمام النورسى[١]:

لأنه أمام كائنات الدنيا المحكوم عليها بالزوال، يجد الإنسان "عقله" المفتون بالمظاهر، السارح فى الأسباب المادية، والمبتلى بمظاهر الدنيا الفانية، ولا يملك إلا المعارف الآفاقية الخارجية.. يجد هذا الإنسان عقله تائها يصرخ يائسا من الأعماق، كلما رأى زوال معشوقاته، مرددا بمنتهى الحسرة والألم النفسى "لا أحب الآفلين".

وكذلك يجد "قلبه" الذى يسعى إلى محبوب خالد – لأنه خلق أصلا ليعشق الخلود، ويعكس أنوار الصمد – يئن هذا القلب مع كل فراق للأحبة، وترتجف خلجاته مرددة بكل الأسى: لا لا أريد الفراق ولا أطيقه.

وهنا تظهر عظمة القرآن:

فهو من لدن حكيم عليم، يخاطب قلب الإنسان وعقله معا، فالإنسان، ليس مجرد قلب فقط، أو عقل فقط.. بل إن العقل والقلب من أعظم الأجهزة التى زود الله بهما الإنسان لتحقيق السعادة الأبدية[٢].

فالقلب المظلم الخالى من نور الإيمان، والعقل الذى لا يغترف من أنوار

---

(١) ص ٢٣٥ : ٢٣٨ من الكلمات.

(٢) ص ٢٦٨ من الشعاعات.

القلب، لا يستطيعان أن يكونا قطعا مقياسا ومحكا وميزانا، لقوانين الرحمانية والحاكمية والربوبية، الجارية فى الكون[١].

فنور العقل وضياء القلب، هما جناحا الإنسان الضروريان، للتحليق فى المراتب العالية الرفيعة فى ملكوت السماوات والأرض، لأن وظائف العقل والقلب الأساسية، هى المشاعر الإنسانية السامية الساعية للعقبى، بجنى كمالات وثمرات أخروية خالدة[٢].

لذا فقد اهتم القرآن اهتماما بالغا، بإيقاظ ملكات القلب والعقل، التى وهبها الله للإنسان.. فهو سبحانه لم يحدد قوى الإنسان ولطائفه ومشاعره، كما هو الحال فى الحيوانات، بل أطلقها واهبا له استعدادا يتمكن به من السياحة والجولان، ضمن مقامات لا تحد، حتى يصبح بحق خليفة الله فى الأرض..

فالقرآن يحمى العقل ويوقظ ملكاته بمثل هذه الآيات الكريمة: ﴿أفلا يتدبرون.. أفلا يتفكرون .. أفلا يعقلون﴾

فيمنح لأهل العلم وأرباب الفكر والعقل بهذا، مقاما رفيعا باسم الدين، ويوليهم أهمية خاصة.. فلا يعزل العقل، ولا يحجر على عقول أهل الفكر ويكمم أفواههم، ولا يطلب التقليد الأعمى[٣].. بل توعد من يعطل أجهزته التى وهبها الله له للوعى والفهم، بأشد العقاب، حيث قال جل شأنه:

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (الأعراف: ١٧٩).

وكذلك يحمى القرآن القلب: فالله يعلم أن القلب فرحه وسروره وحياته وكمالاته، بتجلى الحقائق الإلهية بنور الإيمان. فأصبح القرآن مائدة سماوية، تجد فيها آلاف من مختلف طبقات الأفكار والعقول والقلوب غذاءهم، كل حسب ما يشتهيه

---

(١) ص ٦٤٤ من الشعاعات.

(٢) ص ٦٣ ، ١٢٤ من اللمعات.

(٣) ص ٤١٨ ، ٥٦٣ من المكتوبات.

ويلبى رغباته.. فالقرآن قوت وغذاء للقلوب، وقوة وغناء للعقول ومـــاء وضيـــاء للأرواح، ودواء وشفاء للنفوس[1].

ومن هذا المنطلق: فإن هذا البحث محاولة متواضعة لبلورة الدور الرائد، الذى قام به الإمام النورسى -رضي الله عنه- فى محاولة إزالة الحجاب المادى بين العقل والقلـــب، وتحرير العقل من ضغوط المادية الرهيبة، ليستوعب ذلك العقل من القلب أنـــواره، التى يترجمها له فى صورة أحاسيس معقولة.. وبذلك يتحقق للإنسان كماله ويتفـــهم عالم الملك والملكوت معا.

ونتيجة هذا الدور العظيم الذى قام به ذلك الإمام الجليل، فإنه استطاع عـــن طريق حقائق القرآن، تقريب عالم الغيب لعقل الإنسان، بالإجابة على تساؤلاته الـــتى تكاد تعصف بكيانه، وتعرقل مسيرته الإيمانية، وتبعده عن منبع الأنوار.. وليس بعـــد ذلك من أخطار، فهذا غاية منتهى الشيطان.. والعياذ بالله.. ولذلك: فإننا نغترف من رسائل النور، ما يزيل الحيرة عن العقول، ويحقق اليقين للقلوب.

فاللهم وفقنا إلى ما تحبه وترضاه.. وتقبل منا صالح أعمالنا.

فقد قلت وقولك الحق: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر: ١٠).

(١) ص ٤٣٧ ، ٤٥١ من الكلمات.

الجزء الأول

جولة داخل القلب والعقل

تعتبر تلك الجولة ضرورية، للتعرف على المشكلات العقلية والقلبية، لأن الكثير منا لا يعرف ما هو القلب؟ وخاصة من الناحية المعنوية، وما هى إمكانيات كل منهما التى أودعها الله فينا؟ وهل يمكن فصل أحدهما عن الآخر فى مسيرة الإنسان الإيمانية؟ أم أن كل منهما ضرورة تكمل الآخر لتحقيق المعراج الروحى المطلوب للمؤمن ، وتحقيق السعادة الأبدية للمؤمن؟

هذا ما سنحاول التعرف عليه من خلال فكر الإمام النورسى -ﷺ- ذلك الإمام الجليل الذى أضاء لنا - بواسطة حقائق القرآن - الأنوار فى قلوبنا، والضياء فى عقولنا.

ما هو القلب ؟

يورد الإمام النورسى تعريفات متعددة للقلب، فى أماكن مختلفة من رسائل النور، وهذه التعريفات ليست متباينة، ولكنها متكاملة، تكون فى مجموعها أهمية القلب، كما أراد الله له أن يكون حقا. ونحن نورد هذه التعريفات - بقدر الجهد - حتى نحقق الغاية المرجوة من حياتنا، ونلقى الله بقلب سليم، خالى من الكدورات التى تعكر صفوه واطمئنانه ، وتحول دون سطوع أنوار الحق وتجلياته فيه.

فالقلب هو:

- تلك النواة لثمرة الإنسان.. فلو كان الإنسان ثمرة، لكان القلب نواته، التى تشتمل بالقوة على لوازم تلك الثمرة[1].. حيث فيها قابلية تمثل مجموع العالم، كالخريطة والفهرستة والأنموذج والتمثال. والمركز فيها لا يقبل إلا الواحد الأحد.. ولا يرضى إلا بالأبد والسرمد. فهذه النواة - وهى القلب - ماؤها الإسلام، وضياؤها الإيمان، فإن اطمأنت تحت تراب العبودية والإخلاص،

---

(١) ص ٢٠٠ من المثنوى العربى النورى.

وسقيت بالإسلام، وانتبهت بالإيمان، أنبتت شجرة نورانية مثالية من عالم الأمر، هي روح لعالمه الجسماني. وإن لم تسق، بقت نواة يابسة منكمشة، لائقة للإحراق بالنار، إلى أن تنقلب إلى النور.

وكم في النواة من أعصاب رقيقة، وأشياء دقيقة لا يبالي بها، وترى أقل من أن يهتم بها.. إلا أن لكل منها – إذا انكشفت النواة – وظيفة مهمة وعظيمة. كذلك لها خدام كامنة نائمة، إذا انتبهت وانبسطت بحياة القلب، يجولون في بساتين الكائنات كطيور سيارة، بدرجة تجعل الإنسان يقول: الحمد لله على كل مصنوعاته، لأنها كلها لي نعم.

حتى أن الفرض أو الخيال، الذي هو من أضعف خدام القلب وأهونهم، له وظيفة عجيبة، يدخل به صاحبه المتوكل – وهو في السجن مقيد – في حديقة نزيهة، ويضع رأس صاحبه المتنبه، وهو يصلي في الشرق أو الغرب، تحت "الحجر الأسود" ثم يودع في الحجر الأسود شهادتي صاحبه.

- والقلب هو مرآة الأحد الصمد، لكن له شعور احتساس بما تجلى فيه، وعلاقة مفتونية بما تمثل فيه، خلافا لسائر المرايا.. ولكن لا لذة للقلب حقيقة فيما لا دوام فيه.. والدليل على أن القلب ما خلق للاشتغال بأمور الدنيا قصدا[1]، أنه إذا تعلق بشيء، تعلق به بشدة، واهتم به اهتماما عظيما، ويتطلب فيه أبدية ودواما، ويفنى فيه فناء تاما.. فيصير كالصنم بالنسبة له.. ولما كان القلب مرآة الصمد، فإن المرآة وظيفتها انعكاس الصور والأنوار، أما حجر الصنم فهي تنكسر به.. لذلك فإن عشق الكائنات الفانية يسبب للقلب عذابا أليما.. أما توجه القلب إلى الله: ففيه الملجأ والمنجأ للروح الذي ضاقت عليه الأكوان، وآلمته مزخرفات الدنيا، وعادته الكائنات.. وفيه أنوار الوجود التي تحرر القلب من ظلمات العدم، وتحيي آمال الروح الإنساني، وتخلص الإنسان من آلام عذاب الزوال[2].

---

(١) أي لا تكون امور الدنيا جل همه، بل هي مزرعة الآخرة.

(٢) ص ٢٢٣ ، ص ٢٣٣ من المثنوي العربي النوري.

- وإن التعبير بالقلب فى القرآن: رمز إلى اللطيفة الربانية لمعنويات الإنسان[1].. وقد عبر بالقلب الذى هو الجسم الصنوبرى فى جسده، لأهمية كل منهما للإنسان: فكما أن ذلك الجسم ماكينة حياتية تنشر ماء الحياة لأقطار البدن، وإذا انسد وسكن جمد الجسم.. كذلك تلك اللطيفة تنشر نور الحياة الحقيقية، لأقطار الهيئة المجسمة من معنوياته وأحواله وآماله.. وإذا زال نور الإيمان - والعياذ بالله - صارت ماهيته التى يصارع بها الكائنات كشبح لا حراك به، وأظلم عليه. فلا يستطيع تلقى الفيوضات الإلهية، أو يميز الخبيث من الطيب، بل تتراكم عليه ظلمات الجاهلية، التى تباعد بينه وبين طريق الحق. وهو ما يسمى "عمى البصيرة".

ويرى الإمام النورسى: أن مشاهدة جمال القرآن تابعة لدرجة سلامة القلب وصحته. فمريض القلب لا يشاهد إلا ما يشوهه له مرضه، فأسلوب القرآن والقلب كلاهما مرآتان، ينعكس كل واحد فى الآخر[2]..

وكما أن مرض القلب المادى يعنى مرض الإنسان، واختلال جميع أفعاله، كذلك مرض القلب المعنوى بالخداع والانحراف، يعنى انحراف كل أفعال الروح عن منهج الاستقامة، إذ هو منبع الحياة وماكنتها[3].

- إن القلب كالعرش، ولكن لا يستطيع أن يقول: "أنا كالعرش الأعظم" فقلبك فيك ملكا، وأنت فى قلبك ملكوتا.. ففى دائرة الاسم "الظاهر" العرش العظيم محيط بالكل.. وهو ما يشار إليه بقول الحق ﷻ: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ (هود، ٧).

وفى دائرة الاسم "الباطن" فالعرش العظيم كالقلب للكون. وهو ما يرمز إليه الحديث الشريف «سقف الجنة عرش الرحمن» (صحيح الجامع الصغير ٩١٩).

(١) ص ٨٤ من إشارات الإعجاز.

(٢) ص ١٥٧ من المثنوى العربى النورى.

(٣) ص ٩٥ من اشارات الإعجاز.

فعرش الرحمن له من الآية الكريمة ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ (الحديد: ٣).

حصة الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية[١].. وقلب الإنسان المؤمن كذلك هو محور لما فى الكون من حقائق لا تحد، ومظهر لها، بل هو نواتها[٢].

نعم إن فى القلب الصغير لهذا الإنسان الصغير، يستقر عشق بكبر الكون.. إذ أن نقل محتويات ما فى مكتبة كبيرة من كتب، وخزنها فى القوة الحافظة للقلب – وهى بحجم حبة عدس – يبين أن قلب الإنسان يمكنه أن يضم الكون، ويستطيع أن يحمل حبا بقدر الكون[٣].

وهكذا نكون قد استعرضنا بعض تعريفات عن القلب، تكون فى مجموعها المقصود الأسمى من قلب المؤمن، حتى يتحقق للإنسان السكينة والاطمئنان، والعروج فى مرضاة الرحمن، بما أودع فى قلبه من أنوار وأسرار.

وننتقل الآن إلى التعرف على ماهية العقل، وما هى حدود إمكانياته التى خلقه الله بها؟ وكيف يتغلب على تلك المحدودية، ليجوب فى ملكوت السماوات والأرض؟

ما هو العقل ؟

إذا كان القلب هو اللطيفة الربانية التى أودعها الله فى الإنسان، لاستقبال الأنوار الإلهية.. فإن العقل هو الجوهر النورانى الذى أودعه الله فى الإنسان، للتصرف فى الأمور الحياتية.

ويقول الإمام النورسى فى ذلك[٤]:

إن الله ﷻ لما أسكن الروح فى البدن المتحول المحتاج، المعرض للمهالك،

(١) ص ١٩٥ من المثنوى ، ص ٢٠١ من اللمعات.

(٢) ص ٥٧١ من المكتوبات.

(٣) ص ٩١ من اللمعات.

(٤) ص ٣٢ من إشارات الإعجاز.

أودع فى الإنسان ثلاث قوى لإدامة تلك الروح فيه:

إحداها: القوة الشهوية البهيمية، الجاذبة للمنافع.

وثانيتها: القوة الغضبية السبعية، الدافعة للمضرات والمخربات.

وثالثتها: القوة العقلية الملكية، المميزة بين النفع والضر.

لكنه تعالى، بحكمته المقتضية لتكمل البشر، بسر المسابقة، فى قوله جل شأنه: ﴿وفى ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (المطففين، ٢٦).. فإنه تعالى، لم يحدد تلك القوى، كما حدد قوى سائر الحيوانات.. وإن حددها بالشريعة - التى تنهى عن الإفراط والتفريط وتأمر بالوسط ﴿فاستقم كما أمرت﴾ (هود، ١١٢). وبعدم التحديد الفطرى هذا للقوى، التى أودعها الله فى الإنسان، يحصل مراتب ثلاث: مرتبة النقصان "وهى التفريط".. والزيادة "وهى الإفراط" والوسط "وهى العدل".

بالنسبة للقوة العقلية: فالتفريط فيها يعنى الغباوة والبلادة.

وإفراطها: الخبث الخادع، والتدقيق فى سفاسف الأمور.. ووسطها الحكمة: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ (البقرة، ٢٦٩).

وكما تتنوع أصل هذه القوة إلى تلك المراتب.. كذلك كل فرع من فروعها يتنوع إلى هذه الثلاث .. مثلا فى مسألة خلق الأفعال:

مذهب أهل السنة: وسط.. حيث يمنح بداية تلك الأفعال إلى الإرادة الجزئية ونهايتها إلى الإرادة الكلية.

مذهب المعتزلة: تفريط.. حيث يمنح التأثير للإنسان.

مذهب الجبرية: إفراط.. حيث يحرم الإنسان من العمل.

وقس على هذا كل فرع من فروع التفكير العقلى ومجالاته التى لا تحد.

أما بالنسبة للقوة الشهوية: فالتفريط فيها: الخمود وعدم الاشتياق إلى شىء.

وإفراطها: الفجور بأن يشتهى ما صادف حل أو حرم.

ووسطها: العفة بأن يرغب فى الحلال، ويهرب من الحرام.

وقس على الأصل كل فرع من فروعه مثل الأكل والشرب واللبس و..

أما بالنسبة للقوة الغضبية: فالتفريط فيها: الجبن، أى الخوف مما لا يخاف منه والتوهم.

وإفراطها: التهور، الذى هو والد الاستبداد والتحكم والظلم.

ووسطها: الشجاعة، أى بذل الروح بعشق وشوق، لحماية شرع الله، وإعلاء كلمة التوحيد.

وقس على ذلك كل فرع من فروع القوة الغضبية، فى مجالاتها المتعددة.

وبذلك تكون الأطراف الستة لتلك القوى ظلم، وأوساطها الثلاث هى العدل، الذى هو الصراط المستقيم، الذى يدعو إليه الإسلام حقا[١].

وهكذا فإن القلوب والعقول برازخ إنسانية، بين عالمى الغيب والشهادة.. وهما بحكم نواة الإنسان ولبه.. فإذا استضاءت تلك القلوب والعقول بنور الإيمان، استطاع الإنسان أن يصبح ثمرة الكون، لأنهما يملكان القدرة على الانبساط والاتساع، بما يمكنهما أن يطويا العالم كله، رغم صغرهما[٢].

وفى ذلك يقول الإمام النورسى -رضي الله عنه-:

- إن ميدان اشتغال الإنسان، ومساير جولان الهمة، أوسع من أن يحاط به: فقد يجول فى ذرة، ويسبح فى قطرة، وينحبس فى نقطة، مع أنه قد يضع العالم نصب عينيه، وقد يدخل الكائنات فى عقله، حتى يتطاول إلى رؤية الواجب الوجود ومشاهدته.. فقد يكون الإنسان أصغر من ذرة، وقد يصير أكبر من السماوات، فيدخل فى القطرة، مع أنه يدخل فيه الفطرة بأنواعها وأركانها[٣].
- ومن صغر الإنسان أنه يجول فى خردلة حافظته (أى عقله)، وتصير تلك الخردلة عليه كصحراء عظيمة يسرى دائما ولا يقطعها. فقس درجة من يسرى دائما

(١) ص ٣٣ من إشارات الإعجاز.
(٢) ص ١٦٠ من الشعاعات.
(٣) ص ١٨٨ من المثنوى العربى النورى.

ولا يتم فى دورانه حجم خردلة، مع أن الخردلة الحافظة تصير كصحراء عظيمة على عقل الإنسان، كذلك يصير ذلك العقل كبحر يبتلع الدنيا.

فسبحان من جعل الخردلة لعقل الإنسان، وجعل الدنيا له كخردلة(١).

حقا إن إكسير الإيمان إذا دخل فى القلب، يصير الإنسان جوهرا لائقا للأبدية والجنة، وبالكفر يصير خزفا خاليا فانيا.. فإن استعداد الإنسان يدل على أن وظيفته الفطرية العبودية، وأن علوية روحانيته واشتياقه إلى البقاء والأبدية، تدل على أن الإنسان خلق أولا فى عالم ألطف من هذا العالم، وأرسل إلى هنا ليتجهز ويعود إليه(٢).

ولكى تزيد معرفتنا بالعقل وإمكانياته الحقيقية، نحاول إلقاء الضوء على الإنسان وعقله فى حالة ضلاله وبعده عن الله، ونضوب قلب ذلك الإنسان من أنوار الإيمان.. ثم نحاول التعرف على الإنسان وعقله فى محراب الإيمان بالله، حيث يستمد أفكاره من قلبه الذى يشع بالأنوار.

هل يرتاح الإنسان وعقله فى حال الضلال؟

يرد على ذلك السؤال الإمام النورسى –رحمه الله– فيقول:

إن العقل الذى هو أفضل أجهزة الإنسان وأرقاها، إن استعمل بسر التوحيد، فإنه يصبح مفتاحا ثمينا بحيث يفتح الكنوز الإلهية السامية، مألوفا من خزائن الكون.. بينما إذا تخبط ذلك العقل فى وحل الضلالة والكفر، فإنه يصبح آلة تعذيب ووسيلة إزعاج، بما يجمع من آلام الماضى الحزينة، ومخاوف المستقبل الرهيبة(٣).

وإن الذين ضلوا عن سواء السبيل، جعلوا بالإفراط والتفريط، العقل وسيلة عذاب وأداة لجمع الآلام، فأردوا البشرية فى دركات سحيقة، أضل من الأنعام.. فاستحقوا الغضب الإلهى، ونزلت بهم صفعات المصائب، جزاء ظلمهم الذى ارتكبوه فى الدنيا.

---

(١) ص ١٧٨ من المثنوى العربى النورى.

(٢) ص ١٥٨ ، ٣٠٤ من المثنوى العربى النورى.

(٣) ص ١٩ من الشعاعات.

زد على ذلك أهم جعلوا بالضلالة التى هم فيها، وبالعقل المرتبط مع الموجودات.. جعلوا الكون موضع أحزان وآلام ومأتما عاما، ومذبحة لكثير من ذوى الحياة، يتقلبون فى دوامات الزوال والفراق، ومسلخة قذرة ضربت الفوضى أطنابها فى الآفاق.. لذا انحصرت روح الضال ووجدانه، بجهنم معنوية فى الدنيا، وأصبح أهلا لعقاب أليم فى الآخرة[1].

ويقول الإمام النورسى[2]:

إن المعرفة الإلهية نفسها هى نقطة استناد للإنسان، أمام تقلبات الحياة ودواماتها، وأمام تزاحم المصائب والنكبات وتواليها عليه. إذ الإنسان إن لم يعتقد بالخالق الحكيم، الذى كل أمره نظام وحكمة، وأسند الأمور والحوادث إلى المصادفات العمياء، وركن إلى ما يملكه من قوة هزيلة، لا تقاوم شيئا من المصائب، فإنه سينهار حتما من فزعه وخوفه، من هول ما يحيط به من بلايا، وسيشعر بحالات أليمة تذكره بعذاب جهنم.. وهذا ما لا يتفق وكمال روح الإنسان المكرم، الذى يسقط إلى هاوية الذل والمهانة بعدم المعرفة الإلهية.

ولذلك فقد أودع الله فى الإنسان الوجدان، ليكون نقطة استمداد له. فالوجدان لا ينسى الخالق مهما عطل العقل نفسه، وأهمل عمله. فلو أنكر العقل وجود الله، فالوجدان يبصره ويراه، ويتأمل فيه ويتوجه إليه.. والحدس – الذى هو سرعة انتقال فى الفهم – يحركه دائما.. وكذا الإلهام – الذى هو الحدس المضاعف – ينوره دوما.. والعشق الإلهى يسوقه ويدفعه دوما إلى معرفة الله تعالى، ذلك العشق المنبعث من تضاعف الشوق، المتولد من تضاعف الرغبة، الناشئة من تضاعف الميلان المغروز فى الفطرة.. فالانجذاب والجذبة المغروزان فى الفطرة، ليسا إلا من جاذب حقيقى.

وهكذا فإن الوجدان برهان مودع فى نفس كل إنسان يثبت التوحيد، لأن الخالق الكريم ينشر نور معرفته، ويبثها فى وجدان كل إنسان، من خلال هاتين

---

(١) ص ٦٥٢ من الشعاعات.

(٢) ص ٤٣١ المثنوى العربى النورى.

النافذتين: نقطة الاستناد ونقطة الاستمداد. ومهما أطبق العقل جفنه، ومهما أغمض عينه.. فعيون الوجدان مفتحة دائما.. ومن هذه النقطة يأتي اضطراب الأرواح وحيرتها، من الصراع بين أحاسيس الوجدان، وغفلة العقل عن المنعم، وإسناد النعم إلى الأسباب والمصادفات[1].

لماذا استعلاء العقل رغم الضلال؟

ويستنكر الإمام النورسى عناد العقل، واستعلائه بقدراته التى وهبها الله له، ولكنه تغافل عنه، إلى حد الإنكار أحيانا.. فيقول فى مواقف عدة :

- ومن الغرائب أن العقل الذى يتطاول إلى الإحاطة بالعالم، والنفوذ إلى الخارج، والخروج من دائرة الإمكان: هذا العقل يغرق فى قطرة.. ويفنى فى ذرة.. ويغيب فى شعرة.. وينحصر الوجود عنده فيما فنى فيه.. ويريد أن يدخل معه، كل ما أحاط به، فى النقطة التى بلعته.. فنجد أن أكبر فلاسفة الأرض عقلا، يغرق فى قطرة من الألم، ويفنى فى ذرة من المحبة، ويغيب فى شعرة من السرور، وينحصر الوجود عنده فى لحظة فناء باهتماماته، ويجهد أن يسحب معه كل معارفه الوجودية، إلى عمق النقطة التى ابتلعته[2].

- ويرى الإمام النورسى أن "الإنسان" الذى مادته "الصلصال كالفخار" ينكسر ويتمزق بسرعة، ما قيمته إلا شيء قليل، ولكن الإيمان إكسير يقلب فحم المادة الفانية، ألماسا مصنعا مرصعا، باقيا بنسبته إلى الصانع الباقى، ويصير الإنسان جوهرا لائقا للأبدية والجنة.. وأنه كماكينة مشتملة على ملايين آلات الوزن وميزانات الفهم، إذا استعملها فى الموازين الإلهية، أثمرت ثمرات، وأورثت آثارا، عند من لا يضل ولا ينسى.

  أما إذا وقعت تلك الماكينة فى يد الكفر، صارت بلا قيمة، كمن استعملها – كآلة عادية حتى أحرقها[3].

---

(١) ص ١٢١ ، ١٨٩ من المثنوى العربى النورى.

(٢) ص ٢٢٥ من المثنوى العربى النورى.

(٣) ص ٤٤١ ، ٤٤٢ من المثنوى العربى النورى.

- ويبين كذلك أن من أعاجيب فطرة الإنسان فى وقت الغفلة: التباس أحكام اللطائف والحواس. كالمجنون الذى يصل نظره إلى شىء، فيمد يده إليه ظنا منه - لمجاورة العين لليد - أن ما يحصل بتلك، يحصل بهذه أيضا.. فالإنسان الغافل الذى لا تصل يد اقتداره إلى تنظيم أدنى جزء من أجزاء نفسه، يتطاول بغروره وسعة خياله، إلى الحكم والتحكم فى أفعال الله فى الآفاق.

وكذا من أعجب فطرة البشر: أن أفراده، مع تقارب درجاتهم فى الصورة الجسمية، يتفاوتون معنى بدرجات، كما بين الذرة إلى الشمس، إلى شمس الشموس، خلافا لسائر الحيوانات.. إذ هى مع تفاوت أفرادها فى الصور الجسمية، كالسمك والطير، تتقارب فى قيمة الروح.. فكأن الإنسان، إذا لم يحدد قواه بالمنهج الإلهى، أمكن له أن يتزل ويتسفل "بالأنانية" إلى أن يكون هو والذرة سواء.. وكذا له أن يتجاوز بالعبودية وبترك "أنا" ويتصاعد بإذنه تعالى، إلى أن يصير بفضل الله، كشمس الشموس مثل محمد (ص) [1].

نصيحة الإمام النورسى للارتقاء بالعقل من مهاوي الضلال:

إن حب الإمام النورسى - للبشرية فاق الحد، وقضى عمره كله، فى محاولة إخراج الإنسان من مهالك الظلمات، إلى أنوار الإيمان، وتحقيق الأمن والاطمئنان له، فى ظل مرضاة الرحمن.

ولذلك فهو يقول لهذا الإنسان فى كل زمان ومكان[2]:

العقل عضو وآلة -إن لم تبعه يا أخى لله - ولم تستعمله فى سبيله، بل جعلته فى سبيل الهوى والنفس، فإنه يتحول إلى عضو مشؤوم وعاجز.. إذ يحملك آلام الماضى الحزينة، وأهوال المستقبل المخيفة، فينحدر عندئذ إلى درك آلة ضارة مشؤومة.. ألا ترى كيف يهرب الفاسق من واقع حياته، وينغمس فى اللهو أو السكر، إنقاذا لنفسه من إزعاجات عقله؟

(١) ص ٢٣١ من المثنوى العربى النورى.

(٢) ص ٢٣ من الكلمات.

ولكن إذا بيع العقل إلى الله، واستعمل فى سبيله ولأجله، فإنه يكون مفتاحـــا رائعا، بحيث يفتح ما لا يعد من خزائن الرحمة الإلهية، وكنوز الحكمة الربانية.. فأينما ينظر صاحبه، وكيفما يفكر، يرى الحكمة الإلهية فى كل شىء وكل موجود وكـــل حادثة، ويشاهد الرحمة الإلهية متجلية على الوجود كله.

وبهذا يرقى العقل إلى مرتبة مرشد ربانى، ويهيئ صاحبه للسعادة الخالدة..

كيـف يكـون عقـل الإنسـان وقلبـه فـى محـراب الإيمان؟

إن الذين يعتزون بعقولهم وهم فى حالة الكفر، يعيشون فى وهم وضلالـــة لا حدود لهما.. لأنه لو انكشفت عنهم الحجب، وعرفوا كيف يفكر المؤمنون؟ وإلى أى حدود يحلقون؟ لتقطعت قلوبهم حسرة، على التيه الذى يعيشون فيه، والعجز الـذى أوصلوا نفوسهم إليه بالغرور والغفلة والاستغناء.. وهذا ما سنحاول التعرف علـــى بعض أبعاده مما وضحه لنا الإمام النورسى -رضي الله عنه- فى عدة مواقف من رسائل النور.

فيقول إمامنا الجليل: إن من فـى قلبـه حيـاة، إذا توجه إلى الكائنات:

- يرى من عظائم الأمور ما لا يحيط به، ويعجز عن إدراكـــه، ويتحـــير فيـــه.. وللتشفى من ألم الحيرة، يشتاق إلى "سبحان الله" كتعطش العليل الغليل إلى المـاء الزلال.
- ويرى من لطائف النعم واللذائذ، ما يجبره على إظهار تلذذه، وتزييد تلـــذذه، واستيزاد لذته، بالدوام برؤية الإنعام فى النعمة، والمنعم فى الإنعام بعنوان الحمد، فيتنفس بـــ "الحمد لله" كما يتنفس المظفر السالم الغانم.
- ويرى من عجائب المخلوقات وغرائبها، ما لا يطيق مقاييس عقله وزنها، ويضيق ذهنه عن محاكمتها، وحس تجسس الحقيقة يشغله بهـــا، فينـــادى "الله أكـــبر" فيستريح. أى خالقها أعظم وأكبر، فلا يثقل عليه خلقها وتدبيرها[1].

---

(١) ص ٢٣٣ من المثنوى العربى النورى.

- إن النظر الإيمانى والتوحيدى يرى كل ذى حياة يتصرف فى وجوده ، كالأمـــير المستأجر على السفينة ، للسلطان الذى يتصرف فى ملكه كيف يشاء.

فهذا النظر: لا يرى النملة ، ولا النحلة الصغيرة الفقيرة، تصـــارع الأســـباب الظالمة المهاجمة.. بل يرى النملة والنحلة تتصرفان فى سفينة برية وطيارة هوائيـــة، زمامهما وناصيتهما تصل بيد قدرة قدير، تتصاغر الأســـباب الهاجمـــة فى نظـــر راكبهما.. فالنملة والنحلة تصارعان الأسباب – ولو عظمت – بالاســـتناد إلى مالكها الحقيقى[1].

- إن مرايا التجليات متنوعة منها: الزجاج، والماء، والهواء، وعالم المثال، والـــروح، والعقل، والخيال، والزمان.. وغيرها مما لا نعلم أو لا تعلم.. وكما أنه لا تزاحـــم ولا تصادم بين عالم الضياء، وعالم الحرارة، وعالم الهواء، وعالم الكهرباء، وعـــالم الجاذبة إلى عالم الأثير والمثال والبرزخ. يجتمع الكل بـــلا اختـــلاط معـــك فى مكانك، بلا تشك من أحد منكم، من مزاحمة أخيه.. فهكذا يمكـــن أن يجتمـــع كثير من أنواع العوالم الغيبية الواسعة فى عالم أرضنا الضيقة. ولا شـــىء يمنـــع سيران نور العقل وآلاته، وجولان الروح وخدامه، وجـــولان الملـــك والجـــن والشيطان.. والإنسان المؤمن يعتبر كالخليفة الممهد له فى أرض الله، يتصـــــرف فيها كيف يشاء، بل فى السقف المحفوظ السماوى أيضا، بعقله الذى يســـــتمد أفكاره من أنوار قلبه[2].

وهكذا لا يسعنا إلا أن نردد قول الإمام النورسى: ما أجهل الإنسان الغـــافل، وما أضله، وما أضره لنفسه!.. يترك خيرا عظيما لوجود احتمال عائق بـــين تســـعة احتمالات سائغة، ويرتكب الضلالة بترك الهداية لشبهة سوفسطائية، مـــع وجـــود ألوف براهين الهداية.. ويستعلى بعقله حتى يصيبه الغرور والشكوك والحرمان مـــن عالم الملكوت.

---

(١) ص ١٣١ من المثنوى العربى النورى.

(٢) ص ٢٢٧ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ من المثنوى العربى النورى

فيا أيها الغافل: لا تحسب أن ما تذوقه بيدى الغفلة والشك لذة لذيذة، بل فيه ادخار آلام أليمة، ستهجم عليك دفعة وتنقلب آلاما جهنمية. فإن أحببت أن تتبدل تلك الآلام لذائذ متجددة، وتنقلب هذه النار نورا، فلابد من المداواة بالتفكر بالآيات، وملازمة الطاعات، كى يزول حجاب الشكوك والغفلات وتنضح حلاوة النجاة من مرارة هذه الضلالات، وتنكشف لذة المناجاة(١).

العبادة وكمال الإنسان:

إن الإنسان مع صغر جرمه وضعفه وعجزه، وكونه حيوانا من الحيوانات، ينطوى على روح غال، ويحتوى على استعداد كامل، ويبطن ميولا لا حصر لها، ويشتمل على آمال لا نهاية لها، ويحوز أفكارا غير محصورة، ويتضمن قوى غير محدودة، وفطرته عجيبة كأنها فهرستة للأنواع والعوالم.

لذلك فإن العبادة هى السبب لانبساط روحه وجلاء قيمته.. وأيضا هى العلة لانكشاف استعداده ونموه ليناسب السعادة الأبدية.. وكذا هى الذريعة لتهذيب ميوله ونزاهتها.. وهى الوسيلة لتحقيق آماله وجعلها مثمرة ريانة.. وكذلك هى الوساطة لتنظيم أفكاره وربطها.. وأيضا هى السبب لتحديد قواه وإلجامها.. وهى الصيقل لرين الطبيعة على أعضائه المادية والمعنوية، التى كل منها كأنها منفذ إلى عالم مخصوص ونوع إذا شف.. وأيضا هى الموصل للبشر إلى شرفه اللائق وكماله المقدر، إذا كانت بالوجدان والعقل والقلب والقالب.. وكذلك هى النسبة اللطيفة العالية، والمناسبة الشريفة الغالية بين العبد والمعبود.. وتلك النسبة هى نهاية مراتب كمال البشر(٢).

لماذا استحقت العبادة ذلك الدور القيم فى كمال الإنسان؟

لأن الإيمان يقيم دائما فى القلب والعقل حارسا معنويا أمينا.. لذا كلما

(١) ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ من المثنوى العربى النورى.

(٢) ص ١٤٩ من اشارات الإعجاز.

صدرت ميول فاسدة عن تطلعات النفس والنوازع والأحاسيس المادية، قال لها ذلك الحارس الرادع: محظور.. ممنوع.. فيطردها ويهزمها.

ونظرا لأن أفعال الإنسان إنما تصدر عن تمايلات القلب والمشاعر، فكلما كان القلب عامرا بنور الإيمان، وكلما كان العقل محكوما بأحكام القرآن، فلا يمكن لهـذا الإنسان أن تغلبه النوازع والأحاسيس المادية التى لا ترى العقبى[1].

وبهذا وحده يكون كمال الإنسان.. وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم، ٣٠).

محددات جولان العقل المطلوبة منه:

إن استخدام العقل مطلوب شرعا، فى التفكر فى آيات الله المبثوثة فى الكون.. والقرآن حافل بالآيات التى تدعو أولى الألباب إلى استخدام عقولهم، التى منحها الله لهم.. ونختار مؤشرا على ذلك قوله تعـالى : ﴿إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (البقرة، ١٦٤).

والملاحظ من آيات القرآن الكريم: أن الدعـوة إلى اسـتخدام العقـل، فى استنطاق أسرار الله، فى عالم الشهادة، بما يعود علـى الإنسـانية بـالنفع المـادى والمعنوى.. تلك الدعوة ليس لها حدود.

أما التفكر فى عالم الغيب، فهو محدود بالشريعة، وبما أخبرنا الله به فى قرآنـه الكريم، أو رسوله فى سنته الشريفة.. وما عدا ذلك فهو غيب لا يعلمه إلا الله، ومـن السفه إجهاد العقل فى التفكر فيه.

والآيات الدالة على ذلك أجل من أن نحصيها هنا.. ولكن نذكر منها بعض ما يهدينا سواء السبيل. حيث قال جل شأنه:

---

(١) ص ٥٢٣ من صيقل الإسلام.

﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ﴾ (آل عمران، ١٧٩).

﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ (الأنعام، ٥٩).

﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ﴾ (الأعراف، ١٨٨).

﴿ ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله ﴾ (هود، ١٢٣).

ويشرح الإمام النورسى –رضي الله عنه– محددات جولان العقل، التى يجب أن يتبعها الإنسان فى تفكيره، حتى لا يتوه فى ضلالات الجهالة.. فيقول: إن التفكر نور يذيب الغفلة الباردة الجامدة، والدقة نار تحرق الأوهام المظلمة اليابسة.. لكن إذا تفكرت فى نفسك: فدقق وتمهل وتغلغل وفصله تفصيلا، بمقتضى الاسم "الباطن" المتعمق.. إذ كمال الصنعة أتم فى تحليله وتفصيله.

وإذا تفكرت فى الآفاق: فأجمل وأسرع ولا تغص إلا لحاجة إيضاح القاعدة، ولا تحدد النظر، كما هو مقتضى الاسم "الظاهر" الواسع.. إذ شعشعة الصنعة أجلى وأبهر وأجمل، فى إجماله ومجموعه، ولئلا تغرق فيما لا ساحل له.

فإذا فصلت هناك – يعنى فى نفسك– وأجملت هنا – أى فى الآفاق: تقربت إلى الوحدة. فصارت الجزئيات أجزاء، والأنواع كلا، والمختلط ممتزجا، والممتزج متحدا، فيفور منه نور اليقين.

وإذا عكست: بأن أجملت فيك، وفصلت فى الآفاق.. تتشتت بك الكثرة، وتستهوى بك الأوهام، وتستغلظ أنانيتك، وتتصلب غفلتك، فتنقلب طبيعة. فهذا طريق الكثرة المنجرة إلى الضلالة.. اللهم لا تجعلنا من الضالين.. آمين[1].

كيف يواجه العقل الوساوس الفكرية؟

ونرى الإمام النورسى – رحمه الله – من شدة إخلاصه: يواصل النصح للمسلم، ليحقق للعقل الأمان ويأخذ بيده إلى طريق الرشاد.. فيعرفه كيف يتصوف إذا اعترضت عقله بعض الهواجس والخواطر السيئة، نتيجة وساوس الشيطان والنفس، أو ضعف أنوار القلب. فيقول له: أيها المتوسوس المتخطر بالقاآت

(١) ص ٢٥٦ من المثنوى العربى النورى.

الشيطان، وأخطار مرض القلب والخيال، وبإمرار خسة النفس ولؤمها، مزخرفات شتى على عين عقلك، عند توجهك إلى الحقائق الإلهية.. حتى قد تمر على عينيك سحائب مظلمة ممطرة، رذائل وفواحش وشتوما، تقشعر منها عند نظرك إلى شمس الحقائق. وحالك هذه تشبه كأنك تمد يد التتريه والتقديس، وترسل عينك للتسبيح والتمجيد، فتجد أن يدك تتنجس بأرجاس خيالك، ويستقذر نظرك مما يمر عليه من سفاسف خبث نفسك، ثم تنعكس تلك المستقذرات على المقدسات فى نظرك، فتتألم فى تلك الحال.

ونصيحتى لك: ألا تيأس ولا تتأثر، ولا تلق نفسك فى الغفلة للفرار من هذه الحال، والنجاة من هذا اللوم الأليم.. إذ لا ضرر إلا الناتج عن توهم الضرر، وبتكرار هذا الوهم تتضرر فعلا.. وعليك ألا تهتم بتلك الأوهام لتذهب عنك، إذ هذه الوهميات والهوائيات كالهوام والزنابير.. إن دافعتهم قاتلوك، وإن تركتهم فارقوك[1].

معرفة الله أسمى الغايات الفكرية للعقل:

ويجمل الإمام النورسى –ﷺ– الغاية السامية التى يجب أن يسعى العقل إليها وينشغل بالتفكير فيها.. فيقول:

- اعلم أنه يفهم من كمال ذكاوة الحيوان وقت خروجه إلى الدنيا، ومهارته فى العلم العملى المتعلق بحياته: أن إرساله إلى الدنيا للتعمل لا للتكمل بالتعلم.

ويفهم من كمال جهالة الإنسان وعجزه، وقت إخراجه إلى الدنيا، واحتياجه إلى التعلم فى كل مطالبه، وفى جميع عمره: أن إرساله إلى الدنيا للتكمل بالتعلم والتعبد، لا للتعمل.. وما عمله المطلوب: إلا تنظيم أعمال ما سخره الله له من النباتات والحيوانات، والاستفادة من نواميس الرحمة. وإلا الدعاء والالتجاء والسؤال والتضرع والتعبد، لمن سخر له، مع نهاية ضعفه وعجزه، وغاية فقره واحتياجه، هذه الموجودات.

---

(١) ص ١٨٩ ، ١٩٠ من المثنوى العربى النورى.

وما علمه المقبول: إلا معرفة من كرمه، وسخر له، وجهزه للعبادة والسعادة، بتعلم حكمة الكائنات، بوجه ينتج معرفة خالقها بأسمائه وصفاته، وجلاله وجماله وكماله.. وغير هذا الوجه: إما مالا يعنيات أو ضلالات.

فطوبى لمن نور حركاته بالآداب الشرعية. ويا سعادة من وفقه الله إلى اتباع السنة فى أعماله ومعاملاته، حتى أورث عمره الفانى ثمارا باقية.. ويا خسارة من خذله الله باتباع الهوى، فاتخذ إلهه هواه، حتى صاره عمره هواء، وعمله هباء[1].

إن الإنسان بإيمانه يستطيع أن يصبح أكرم المخلوقات وأشرفها.. لأنه يستطيع أن يكشف بعقله عن مراتب الأسباب الظاهرية فى خلق الكائنات ونتائجها، ويعرف العلاقات بين العلل والأسباب المتسلسلة، ويستطيع أن يقلد بمهارته الجزئية الصنائع الإلهية، والإيجاد الربانى المنتظم الحكيم. ويستطيع أن يدرك بعلمه الجزئى، وبمهارته الجزئية، اتقان الأفعال الإلهية، وذلك بجعل ما لديه من جزء اختيارى، ميزانا جزئيا ومقياسا مصغرا، لدرك تلك الأفعال الإلهية الكلية، والصفات الجليلة المطلقة[2].

ضرورة امتزاج العقل والقلب معا لتحقيق السعادة الأبدية:

هناك الكثيرون ممن يعتدون بعقولهم ويغترون بها، ويظنون أنها وسيلتهم المثلى فى المعراج إلى الله، محتجون بكثرة الآيات القرآنية التى تستنهض العقل، وتدعو إلى التدبر والتفكر.. ولكننا نقول لهؤلاء: إنكم قد ضللتم الطريق إلى الله، وأنكم لن تقطعوا إلا مسافات محدودة، تحفها الأشواك والمتاهات، وقد تزل بكم أقدامكم، فتقعون فى هاوية لا نجاة بعدها.. لأنه كما يقول الإمام النورسى[3]:

لقد قضى أهل الكشف والتحقيق: أن الإيمان التحقيقى كلما ارتقى من علم اليقين إلى حق اليقين، يستعصى على السلب، فلا يسلب. وقالوا: إن الشيطان لا

(١) ص ٤٨٠ ، ٤٨١ من المثنوى العربى النورى.
(٢) ص ٥٠٣ من صيقل الإسلام.
(٣) ص ١١٠ من الملاحق.

يستطيع أن يورث أحدا فى سكرات الموت، إلا إلقاء الشبهات بوساوسه إلى العقل فحسب.. أما هذا النوع من الإيمان التحقيقى، فلا يتوقف فى حدود العقل فحسب، بل يسرى إلى القلب وإلى الروح وإلى السر، وإلى لطائف أخرى[1].. فيترسخ فيها رسوخا قويا، بحيث لا تصل يد الشيطان إليها أبدا.. فإيمان أمثال هؤلاء مصون من الزوال بإذن الله.

وإن إحدى طرق الوصول إلى هذا الإيمان التحقيقى: هو بلوغ الحقيقة بالولاية الكاملة، بالكشف والشهود.. وهذا الطريق إيمان شهودى يخص أخص الخواص.

أما الطريق الثانى: فهو تصديق الحقائق الإيمانية بعلم اليقين، البالغ درجة البداهة والضرورة، وبقوة تبلغ درجة حق اليقين، وذلك بفيض سر من أسرار الوحى الإلهى، من جهة الإيمان بالغيب، وبطراز برهانى وقرآنى، يمتزج فيه العقل والقلب معا.

فهذا الطريق الثانى هو أساس رسائل النور، وخميرها، وروحها وحقيقتها.. لأنه هو الطريق الذى عرج فيه الإمام النورسى[2] -رضي الله عنه- واستطاع فيه قطع المقامات، ودفع الشكوك والأوهام كما فعله الإمام الغزالى وجلال الدين الرومى والإمام الربانى (أحمد بن عبد الأحد السرهندى الفاروقى).. حيث كان فى سياحته وسلوكه فى تلك المقامات: ساعيا بالقلب تحت نظارة العقل، وبالعقل فى حماية القلب.

لماذا القلب والعقل معا ؟

يجيب على هذا السؤال الإمام النورسى، فى أماكن متعددة من رسائل النور، نقتبس منها تلك المقتطفات:

- يقول إمامنا الجليل: إن قسما من مصنفات العلماء السابقين، والأولياء الصالحين، تبحث فى ثمار الإيمان ونتائجه، وفيوضات معرفة الله سبحانه.. تعتمد فى ذلك على أذواق القلب وكشوفاته، لأنه لم يكن فى عصرهم تحد واضح ولا

(١) اللطائف العشر فى الإنسان هى: الوجدان ، الأعصاب ، الحس ، العقل ، القلب ، الروح ، السر ، الهوى ، القوة الشهوية ، القوة الغضبية. ص ٨٩ من الملاحق.

(٢) ص ٣٠ ، ٣١ من المثنوى العربى النورى.

هجوم سافر، يقتلع جذور الإيمان وأسسه، إذ كانت تلك الأسس متينة ورصينة.. فكانت تلك المؤلفات تقول: كن وليا، وشاهد وارق فى المقامات والدرجات، وابصر وتناول الأنوار والفيوضات.

أما فى عصرنا الحاضر: فإن هناك هجوما عنيفا جماعيا منظما على أركان الإيمان وأسسه، لا تستطيع تلك المؤلفات التى كانت تخاطب الأفراد وخواص المؤمنين فقط، أن تصد التيار الرهيب القوى لهذا الزمان، ولا أن تقاومه. فهذا الزمان يحتاج إلى اتحاد العقل والقلب معا وامتزاجهما، لإنقاذ أسس الإيمان وحفظه فى القلوب، وإنقاذه من شبهات وأوهام الفلسفة المهاجمة.. ببيان أنوار الحقائق الإيمانية، بالدلائل العقلية والبراهين الساطعة(١).

وهذا هو المنهج الذى اتبعه النورسى فى رسائل النور: حيث أقنع نفسه أولا إقناعا كافيا، وتمكن من إزالة وساوسها وشبهاتها إزالة تامة، بحيث يمكن بعد ذلك إقناع الآخرين، وصد تيار الضلالة الحاضرة، التى اتخذت شخصية معنوية رهيبة.. وفى نفس الوقت طهر قلبه تطهيرا كافيا، بحيث يكون مرآة مصقولة لاستقبال تجليات الأنوار الإلهية.. وبهذا أصبح إماما مؤهلا لمخاطبة أجيال المستقبل التى تحتاج إلى البرهان العقلى.. ولذلك فشعار رسائل النور هو: كن من شئت وأبصر! وافتح عينيك فحسب، وشاهد الحقيقة، وانقذ إيمانك الذى هو مفتاح السعادة الأبدية.

- ومن خطورة الاعتماد على خطى العقل وحده، وأدلته ونظراته: حرمان الإنسان من خير عميم.. فكما أن دماغ الإنسان – أشبه بمجمع مركزى للبث والاستقبال السلكى واللاسلكى – يستقبل ما فى الكون من علوم وفنون يكشف عنها ويبثها أيضا.. فإن قلب الإنسان كذلك هو محور لما فى الكون من حقائق إيمانية لا تحد، ومظهر لها، بل هو نواتها.. فقلب الإنسان بمثابة خريطة معنوية لآلاف العوالم، كما بين ذلك من لا يحصرهم العد من أهل الولاية، فيما سطروه من ملايين الكتب الباهرة(٢).

(١) ص ١٠٤ ، ١٠٥ من الملاحق.

(٢) ص ٥٧١ من المكتوبات.

وغرور الإنسان بعقله، واستعلائه به، معناه حرمانه من تلك الفيوضات الربانية، التى يعكسها القلب للتجليات الإلهية، مما يساعد الإنسان على العروج الروحى السريع، فى ظل المعراج الأحمدى، وتحت رايته، ومعرفة الحقائق الإيمانية والقرآنية بما يشبه الشهود.

- ويبين لنا الإمام النورسى دور القلب فى إثراء العقل، بالأفكار النابعة من أنوار ذلك القلب.. فيقول:

إن: عقلى قد يرافق قلبى فى سيره: فيعطى القلب مشهوده الذوقى ليد العقل، فيبرزه العقل على عادته فى صورة المبرهن التمثيلى.

ومن تلك الحقائق: أن الفاطر الحكيم كما أنه بعيد بلا نهاية، كذلك فهو قريب بلا غاية.. وكما أنه فى أبطن البطون، فهو كذلك فوق الفوق.. وكما أنه ليس داخلا، كذلك ليس خارجا.

فإن شئت فانظر إلى آثار رحمته المنثورة على سطح كرة الأرض، وإلى معمولات قدرته المنشورة فى دوائر صحائف الأرض، لتشاهد هذا السر متلمعا من سطورها: إذ لابد لصانع ذرتين، أو زهرتين، أو ثمرتين، أو نحلتين، فى مكانين فى آن واحد، لابد من بعد أزيد من البعد بينهما.. وإذا كانت إحداهما فى الكرة الأرضية والأخرى فى مدارها، مع تخلل أعظم القوس بينهما، فحينئذ لابد للمقابلة التامة ، رغم التساوى الضرورى المشهود – من بعد بلا حد. هذا فى وجه الظاهر، وفى جانب الملك.. أما فى وجه الباطن، وفى جهة الملكوت: فلابد لتساوى المقابلة – بلا كيفية – المشهودة، فى كمال سهولة الإيجاد وسرعته، مع الجود المطلق، فى الإتقان المطلق من قرب بلا نهاية. كقرب المركز لتفاوت نسب نقاط الدوائر المتداخلة بالنسبة إلى المركز.. مع أنه لا تفاوت بالنسبة إلى "الموجد" الذى أتقن كل شىء صنعا. وأحسن كل شىء خلقه.

نعم هذا السر من خصائص دائرة الوجوب والتجرد، ومن خواص الإطلاق، ومن خصوصيات تجلى الأحدية فى الوحدة، ومن لوازم مباينة ماهية الفاعل الأصلى للمنفعل الظلى.

مثلا: "ولله المثل الأعلى": أن الشمس لها قرب بلا حد، من تماثيلها فى المرايا والأزاهير.. وكذا لها بعد بلا حد من تلك الظلال.. إذ لا يمكن قطع المسافة المتخللة، بين الظل المتمكن فى مرآتك، وبين الأصل.

فسبحان من تقدس عن الأشباه ذاته، وتنزهت عن مشابهة الأمثال صفاته. هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم[1].

- ولمزيد من البراهين لبيان أهمية القلب قبل العقل، ليحقق الإنسان معراجه الروحى، فى مدارج الأنوار: نورد مثالا من مئات الأمثلة التى ذكرها النورسى للفيوضات التى ترد على قلبه، ويستحيل أن يصل الإنسان إليها بعقله فقط، فالعقل اجتهاده فى عالم الملك، والقلب جولانه فى عالم الملكوت، ولكى يكون الإنسان كاملا: لابد أن يجمع فى معراجه إلى الله بين العقل والقلب، بين عالم الملك والملكوت.. فيقول الإمام -رضي الله عنه-:

إن مما أفيض على قلبى من فيض القرآن ، ومن كثرة ذكره: إحياء الأرض، وجلبه أنظار البشر إلى التراب. إن الأرض قلب العالم، والتراب قلب الأرض. وإن أقرب السبل إلى المقصود، يذهب فى التراب، من باب التواضع والمحوية والفناء. بل هو أقرب من أعلى السماوات إلى خالق السماوات، إذ لا يرى فى الكائنات شيء يساوى التراب، فى تجلى الربوبية عليها، وفعالية القدرة فيها، وظهور الخلاقية منها، والمظهرية لجلوات اسمى الحى القيوم.

وهكذا، فكما أن "عرش الرحمة على الماء"، كذلك إن "عرش الحياة والأحياء، على التراب". والتراب أجمع المرايا وأتمها. إذ مرآة الكثيف: كلما كان ألطف وأشف؛ تريك صورة الكثيف أوضح وأظهر وأتم.. لكن مرآة اللطيف النورانى: كلما كان أكثف، كان التجلى بالأسماء عليها أتم.. ألا ترى الهواء لا يأخذ من فيض الشمس إلا ضياء ضعيفا.. والماء وإن أراك الشمس بضيائها، لكن لا يفصل ألوانه. مع أن التراب يريك بأزاهيره مفصل كل ما اندمج فى ضيائها، من الألوان السبعة ومركباتها. مع أن هذه الشمس قطرة متلمعة كثيفة، بالنسبة إلى

---

(١) ص ٤١٣ ، ٤١٤ من المثنوى العربى النورى.

نور شمس الأزل. وتزين التراب وتبرجه فى الربيع، بما لا يحـــد ولا يعــد مــن لطيفات الأزاهير، وجميلات الحيوانات المنادية على كمـــال ربوبيتـــه، شـــاهد مشهود. فسبحان من يتعرف إلينا بلطيف صنعه، ويعرف الخلاق -فى قدرتـــه- بعجائب تصرفه فى التراب. ومما يرمز إلى هذا السر حديـــث: ﴿أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. فأكثروا الدعاء﴾ (أخرجه مسلم عن أبى هريرة)[1].

نور العقل يشع من القلب:

إن ذلك العنوان هو الركيزة الأساسية التى تدور عليها رسائل النور، حيـــث تدحض حجج الفلاسفة، وتحاول إخراجهم من ظلمات الضلالة إلى نـــور الإيمـــان واليقين، بالبراهين العقلية والأسانيد المنطقية، والحوار الفكرى البناء.

ويقول فى ذلك الإمام النورسى[2]:

على المفكرين الذين غشيهم ظلام، أن يدركوا الكلام الآتى:

لا يتنور الفكر من دون ضياء القلب.. فإن لم يمتزج ذلك النور وهذا الضياء، فالفكر ظلام دامس، يتفجر منه الظلم والجهل.. فهو ظلام قد لبس لبوس النور (نور الفكر) زورا وبهتانا.

ففى عينك نهار، لكنه بياض مظلم، وفيها سواد لكنه منور.. فإن لم يكن فيـــها ذلك السواد المنور، فلا تكون تلك الشحمة عينا، ولا تقدر على الرؤية. وهكذا! لا قيمة لبصر بلا بصيرة.. فإن لم تكن سويداء القلب فى فكرة بيضاء ناصعة، فحصيلـــة الدماغ لا تكون علما ولا بصيرة.. فلا عقل دون قلب.

وهكذا اقتبسنا من فكر إمامنا الجليل بعض الأسباب الداعية لضرورة امـــتزاج العقل بالقلب المفعم بنور الإيمان.. لأن القلب إذا انطفأ فيه نور الإيمـــان، وأصبـــح

(١) أخرجه مسلم برقم ٤٨٢ وأبو داود برقم ٨٧٥ والنسائى ٢/٢٢٦.

(٢) ص ٨٤٨ من الكلمات.

غريقا فى ظلام دامس من الظلمات، فإن العقل يزل إلى مفهوم الطبيعة والمصادفة[1].

ويقول الإمام النورسى عن تلك الضرورة: إننى أظن أن الباعث على ذل هذه الأمة أكثر من الجهل، هو الذكاء الأبتر العقيم غير المرافق لنور القلب.. ويتحسر على ما وصلت إليه الأمة الإسلامية فيقول: وا أسفى على ندرة الذين جمعوا النورين معا: نور القلب ونور الفكر[2].

وهكذا فإن إمامنا الجليل قد شخص داء العصر الذى أصيبت به الأمة الإسلامية خير تشخيص، حيث ضاعت هويتها بين التيارات الفكرية العلمانية الوافدة عليها، حتى كادت تقتلع منها جذور الإيمان وتتركها كأعجاز نخل خاوية، لأنه مما لاشك فيه أن نور القلب ونور الفكر يتفاعلان، فينتجان خير أمة أخرجت للناس.

وهنا يثور فى نفوس المعاندين المكابرين: ذلك التساؤل الذى يؤدى دوما إلى الانحراف عن الصراط المستقيم وهو:

لماذا لا يمكننا تحقيق المعراج الروحى بالعقل وحده؟

أو على الأقل لماذا لا يكون للعقل القيادة والأولوية فى تلك المسيرة؟

إن الإجابة على هذا التساؤل أقصى من أن يحصيها هذا المجال، لأنها تعنى أسرار وجود البشرية على الأرض.. وتعنى الغاية الكامنة وراء بعثة الرسل الكرام، وجهادهم فى سبيل دعوة الحق.. وتعنى أولا وأخيرا جهل الإنسان بالأمانة التى وُكِّل بها، وجهله بإمكانيات قلبه وعقله، وجهله بعالم الغيب، وما فيه من أسرار تعجز العقول عن إدراك أى منها.

ولكننا سنحاول اغتراف بعض المؤشرات، التى ذكرها الإمام النورسى، للإجابة عن هذا التساؤل الأزلى، الذى شغل البشر منذ بدء الخليقة، فى رحلة البحث عن الحقيقة:

(١) ص ٢٥٨ من الملاحق.

(٢) ص ٣٧٠ ، ٣٩٣ من صيقل الإسلام.

أول تلك المؤشرات:

إن الحقائق العظيمة السامية جدا لا توزن بموازين عقولنا الصغيرة، لأن هذا الميزان لا يتحمل ثقلا بهذا القدر.. ومن أمثال تلك الحقائق التى أخبر بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وتتلاءم تماما مع الرحمة الإلهية المطلقة، وتعجز العقول عن إدراكها: وجود ذات نورانية فى أماكن كثيرة فى آن واحد.. وحضور جبرائيل عليه السلام فى ألف نجم ونجم، وأمام العرش الأعظم، وفى الحضرة النبوية، وفى الحضرة الإلهية فى آن واحد.. ولقاء الرسول صلى الله عليه وسلم أتقياء أمته فى الحشر الأعظم فى آن واحد.. وظهوره صلى الله عليه وسلم فى الدنيا فى مقامات لا تحد فى آن واحد.. ومشاهدة الأبدال –وهم نوع غريب من الأولياء – فى أماكن كثيرة فى وقت واحد.. وإنجاز العوام من الناس فى الرؤيا، ومشاهدتهم عمل سنة كاملة، فى دقيقة واحدة.. ووجود كل إنسان بالقلب والروح والخيال فى أماكن كثيرة، وتكوين علاقات معها فى آن واحد.. ووجود أهل الجنة – الذين تكون أجسامهم فى قوة الروح وخفتها وفى سرعة الخيال – فى مائة ألف مكان، ومعاشرتهم مائة ألف من الحور العين، وتلذذهم بمائة ألف نوع من أنواع اللذائذ، فى وقت واحد[1].

كل ذلك وغيره كثير، مما لا تستطيع العقول إدراك معانيه.. يبرهن بالدليل القاطع أن العقل وحده لا يكفى لتحقيق المعراج الروحى، لأن الروح لا ترتقى إلا بالاطمئنان واليقين التام، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق الشهود الذوقى للقلب، ثم ترجمة ذلك للعقل عن طريق الأحاسيس المعنوية، والمبرهن التمثيلى[2].. فالعقل هو مركز الحواس، لا يستطيع أن يتعامل إلا مع كل ما هو مادى محسوس وخلقه الله للإنسان لاستنطاق أسرار الكون فى عالم الملك. ولذلك فهو عاجز عن إدراك عالم الملكوت، ويحتاج إلى القلب دائما ليقوده فى هذا المجال، ليحقق الإنسان الكمال.

---

(١) ص ٥٩١ من الكلمات.

(٢) ص ٤١٣ من المثنوى العربى النورى.

• ثانى تلك المؤشرات:

إن المصائب التى تصيب الحيوان والإنسان، يجوز أن يكون لها أسباب تدق عن فهم البشر.. فالشريعة الفطرية التى هى دساتير المشيئة، لا تنظر إلى العقل حتى يسقط التكليف بها عند عدم العقل، بل ينظر إلى القلب والحس، بل والاستعداد أيضا، فتجازى على أفاعيلها.. وقد نشاهد الحيوان كاملا فى حس النفس، والصبى بالغا فى حس القلب.. بل أحيانا حس طفلك، أكمل من عقلك وأشد تيقظا. إذ تظلم يتيما بالضرب، ولا يمنعك عقلك، وصبيك الناظر إليك يبكيه بحس شفقته.. لو كان هو لا نزجر.. وذلك باستعلاء شفقة الإيمان فى القلب، على مادية العقل.

وهكذا فإن اتحاد القلب والعقل معا، ضرورة إيمانية لفهم دساتير المشيئة، وتحقيق اليقين الكامل.

• ثالث تلك المؤشرات:

ضيق العقل عن أزلية الله سبحانه، وإيجاده الأشياء كلها، وهى صفة لازمة ضرورية للذات الجليلة.. ويعطى تلك الأزلية والإيجاد، إلى ذرات غير متناهية، وإلى أشياء عاجزة[1].. وهذا يؤدى إلى اضطرابات مزعجة للأرواح والعقول، ناشئة من الاستنكارات والاستغراب والحيرة، فى إسناد الأشياء إلى أنفسها، وأسبابها الإمكانية. وهنا ليس هناك من خلاص أمام تلك الأرواح المضطربة، إلا الالتجاء والفرار إلى الله، والتفويض إليه، الذى بذكره تطمئن القلوب المؤمنة به[2]:

﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (عمران: ١٨٥).

فما الأسباب الى هى نتاج العقول الشاردة عن نور الإيمان إلا حجاب رقيق على تصرف القدرة الأزلية.. وهى ليس لها تأثير إيجادى فى نفس الأمر، إذ أشرف

(١) ص ٤٢٤ من المثنوى العربى النورى.

(٢) ص ١١٤ من المثنوى العربى النورى.

الأسباب وأوسعها اختيارا، وهو الإنسان، ليس فى يـــده مـــن أظـــهر أفعالـــه الاختيارية – كالأكل والكلام والفكر – إلا جزء واحد من فئات الأجـــزاء.. ومع ذلك مشكوك فيه.. فإذا كان السبب الأشرف والأوسع اختيارا، مغلـــول الأيدى عن التصرف الحقيقى، فكيف يمكن أن تكون البـــهيمات والجمـــادات شريكا فى الإيجاد والربوبية، لخالق الأرض والسماوات؟ فمن شدة عظمة الله، لا تدرك العقول كنه عظمته.. ولكن القلـــب هـــو مـــرآة التجليـــات لصـــانع المخلوقات[1].. وبالتالى لا يصلح العقل بمفرده لتحقيق المعراج الروحى المطلوب لتكامل الإنسان.

- ## رابع تلك المؤشرات:

أن العلوم العقلية وحدها تخنق الأحاسيس المعنوية: فمن توغل كثيرا فى شـــىء، أدى به – فى الغالب – إلى التغابى فى غيره.

وبناء على هذا: فمن توغل فى الماديات، تبلد فى المعنويات وظل سطحيا فيـــها.. ولذلك فإن مراجعة أحكام الماديين فى المعنويات – التى هى الحقـــائق المحضـــة والمجردات الصرفة – واستشارة آرائهم وأفكارهم، يعنى الإعلان عـــن ســـكتة القلب، الذى هو اللطيفة الربانية، وعن سكرات العقل، الذى هـــو الجوهـــر النورانى.

نعم! إن الذين يبحثون عن كل شيء فى الماديات، عقولهم فى عيونهم، والعـــين عاجزة عن رؤية المعنويات.. ويجب أن يعلم المسلمون علم اليقين: أن الألفاظ – القرآنية والنبوية – كالملائكة – توحى أرواح الحقائق إلى القلب والوجدان، لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.. وهما أسمى من أن يفتقر إلى تزكيـــة العقل والنقل، فهما معدن الحياة ونبع الحقائق[2].

ويقول الإمام النورسى: قد شاهدت ازدياد العلم الفلسفى فى ازدياد المـــرض، كما رأيت ازدياد المرض فى ازدياد العلم العقلى.. فالأمراض المعنوية توصـــل إلى

---

(١) ص ١٤٤ ، ١٤٦ من المثنوى العربى النورى.

(٢) ص ٣٣ ، ٣٦ من المثنوى العربى النورى.

علوم عقلية.. كما أن العلوم العقلية تولد أمراضا قلبية[1].

فإن من بعد عن شيء، لا يرى كما يراه القريب منه، ولو كان البعيد أشد ذكاء وأحد بصرا. فإذا تعارضا ترجح القريب مطلقـــا.. فالفلاســفة الأوروبيـــون المتغلغلون فى المادية، تباعدوا بمراتب عديدة، ومسافات طويلة عن مقام الإسـلام والإيمان والقرآن. فأعظم فلاسفتهم لا يساوى عاميا يفهم بالإجمال مآل القـرآن فقط.. فلا تقل لى: من كشف خواص البرق والبخار، كيف لا يفـــهم أســـرار الحق وأنوار القرآن؟ لأننى أقول: نعم لا يفهم، إذ عقله فى عينه (أى لا يفهم ولا يصدق إلا ما يرى) والعين لا ترى ما يراه القلب والروح.. لاسيما مع البعـد.. ولا سيما عند موت القلب، بانقلاب الغفلة إلى الطبيعـة[2]. ﴿طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون﴾ (النحل: ١٠٨).

- ## خامس تلك المؤشرات:

إن الفلسفة السقيمة والمدنية السفيهة، القائمتان على العقل فقط، تزيدان جمودة الدنيا وكدوراتها، بالتدقيقات الفلسفية والمباحث الطبيعية.. أما القرآن فينفـــش الدنيا كالعهن المنفوش بآياته، ويشففها ببيناته، ويذيبها بنيراته، ويمزق أبديتــــها الموهومة بنعياته، ويفرق الغفلة المولدة للطبيعة برعداته[3].

ولما كان القلب هو مرآة تجلى الحق لتلقى الأنوار الإلهية، وعليه يتزل القـــرآن، كما قال الحق جل شأنه: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ (الشعراء: ١٩٤).

لذا فإن محاولة التفكير العقلى بعيدا عن المنهج الإيمانى، يؤدى إلى إصابة العقـــل البشرى بسكتة دماغية! فأين الثرى من الثريا؟ وأيـــن الضيـــاء مـــن الظلمـــة الدامسة؟ فإن نجوم القرآن الثاقبة، هى التى تفتح الأبصار، وترفع ظلام الجـــهل، وظلمات النظرة العابرة.. إذ تمزق الآيات البينات - بيدها البيضاء - حجـــاب

---

(١) ص ١٥٨ من المثنوى العربى النورى.

(٢) ص ٤٠٧ من المثنوى العربى النورى.

(٣) ص ٣٣٨ من المثنوى العربى النورى.

الألفة والنظر السطحي، وأستار التشبث بالظاهر المحسوس، فتوجه العقول وترشدها إلى حقائق الآفاق والأنفس[1].

وهكذا فلا يمكن العروج فى مدارج الروح، فضلا عن تحقيق السكينة والاطمئنان للإنسان، عن طريق العقل وحده.. فالفيلسوف الغارق فى الغفلة، المستسلم للضلالة، ويريد أن يعلو بعقله موقعا مرموقا، يكون شأنه شأن الملك المعزول عن العرش، المنزوع عنه جميع الشارات والأوسمة، فيستحوذ عليه اليأس والقنوط إلى الأبد.. بينما الفيلسوف المدرك، تتحطم قيود الفلسفة لديه، إزاء الحقائق القرآنية، وتتحطم أغلال الاعتراض التى تكبل فكره، الواحدة تلو الأخرى.. وعند ذاك يدرك أن دعواه وادعاءاته باطلة، فيهوى للسجود أمام عظمة الخالق القدير، سجدة تعظيم وإجلال، سائلا المولى المغفرة منه تعالى[2].

- ## سادس تلك المؤشرات:

إن الفيلسوف الغافل، الحاكم على نفسه باليتم، والبعد القلبى عن الله، تشعر روحه بالاضطراب والقلق، وإن لم تشعر نفسه السكرانة بعذاب قلبه وروحه، لأنه يعيش فى لمعة نور، ولكن فى الحقيقة استولت الظلمات الموحشة، على جميع مناظرها ومحبوباتها ومأنوساتها، لأن الفلسفة المادية والطبيعية تكل العقل وتعمى البصيرة، مما لا يؤازر الاستعداد الفطرى للإنسان، فى توجهه للحق، فضلا عن أنها تشتته وترهقه أكثر[3]. وهنا تظهر أهمية الإيمان، حيث أنه نور يقذفه الله، فى قلب من يشاء من عباده، أى بعد صرف الجزء الاختيارى.. فالإيمان نور لوجدان البشر، وشعاع من شمس الأزل، يضئ دفعة ملكوتية الوجدان بتمامها، فينشر أنسية له مع كل الكائنات، ويؤسس مناسبة بين الوجدان وبين كل شىء، ويلقى فى القلب قوة معنوية، يقتدر بها الإنسان أن يصارع مع جميع

---

(١) ص ٦٣ ، ١٣١ من صيقل الإسلام.

(٢) ص ٣٨ من الملاحق.

(٣) ص ٤٤٨ من المثنوى ، ص ٥٧٧ من الكلمات.

الحوادث والمصيبات.. ويعطيه وسعة يقتدر بها أن يبتلع الماضى والمستقبل[١].

إن الإيمان القلبى يجعل لكل إنسان حظوة مع النور الأزلى، حيث يتجلى ذلك النور فى مرآة القلب، برباط ربانى وانتساب إليه، حسب استعداده، ووفق تجليات الأسماء والصفات، وذلك فى سيره وسلوكه، لدى طيه مراتب العروج إلى الله.. وتلك حقائق عالية سامية، إلى حد لا يبلغها العقل، بل لا يقترب منها، ومع هذا فإنها ترى بنور الإيمان.

والمعراج النبوى صورة وغلاف خيط العلاقة النورانية ذاك، حيث فتح الرسول الكريم ذلك الطريق، ودرج فيه بولايته، وعاد برسالته، وترك الباب مفتوحا، ليسلكه أولياء أمته، الذين يتبعونه سلوكا، بالروح والقلب، فيدرجوا فى تلك الجادة النورانية، تحت ظلال المعراج النبوى، ويعرجوا إلى مقامات عالية، كل حسب استعداداته وقابلياته[٢].

• سابع تلك المؤشرات:

أن الإنسان خلق ممتازا، ومستثنى من جميع الحيوانات، بمزاج لطيف عجيب، أنتج ذلك المزاج فيه ميلانا فطريا إلى أن يعيش ويحيا، بمعيشة وكمال لائقين بالإنسانية.. ولهذا احتاج إلى الامتزاج مع أبناء جنسه ليتشاركوا، فيتعاونوا، ثم يتبادلوا ثمرات سعيهم. لكن لما لم يحدد الصانع الحكيم قوى البشر الشهوية والغضبية والعقلية، بحد فطرى، لتأمين ترقيهم، بدفع الجزء الاختيارى – لا كالحيوانات التى حددت قواها – حصل الهماك وتجاوز... ولذلك تحتاج الجماعة إلى العدالة، فى تبادل ثمرات السعى.. ثم لأن عقل كل أحد لا يكفى فى درك العدالة، احتاج النوع إلى عقل كلى للعدالة، يستفيد منه عقل العموم. وما ذلك العقل إلا قانون كلى، وما هو إلا الشريعة.. ثم لمحافظة تأثير تلك الشريعة وجريانها، لابد من مقنن وصاحب ومبلغ ومرجع، وما هو إلا النبى صلى الله عليه وسلم..

(١) ص ٥١ من المثنوى العربى النورى.

(٢) ص ٦٧٠ ، ص ٦٩٢ ، ٦٩٣ من الكلمات.

ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم لإدامة حاكميته فى الظواهـــر والبواطـــن، وفى العقول والطبائع، يحتاج إلى امتياز وتفوق، مادة ومعنى، سيرة وصـــورة، خلقـــا وخلقا. ويحتاج أيضا إلى دليل على قوة المناسبة، بينه وبين مالك الملك، صـــاحب العالم، وما الدليل إلا المعجزات.. ثم لتأسيس إطاعة الأوامر، وتـــأمين اجتنـــاب النواهى، يحتاج إلى إدامة تصور عظمة الصانع، وصاحب الملك فى الأذهان، ومـــا هو إلا تجلى العقائد.. ثم لإدامة التصور ورسوخ العقائد، يحتاج إلى مذكر مكرر وعمل متجدد، وما المذكر المكرر إلا العبادة[1].. والعبادة تحتـــاج إلى خشـــوع بالجنان وعمل بالأركان.

وهذا معناه أن الإنسان لا يستطيع الاعتماد على عقله فقط، لتحقيـــق الرقـــى الروحى، لأن نوازع الإنسان وأحاسيسه المادية لا ترى العقبى، فتفضل درهمـــا من لذة عاجلة، على قنطار من لذات آجلة.. هذه الأحاسيس يمكن أن تطغـــى على عقل الإنسان، وتسيطر على فكره، ما لم يكن هناك رادعـــا قويـــا مـــن الشريعة، يترسخ فى قلبه[2].. أى أن العقل والقلب ضروريان معا لتحقيق الرقى الروحى، والرقى الاجتماعى أيضا.

- ## ثامن تلك المؤشرات:

إن هناك مسائل مهمة لا يمكن حلها بالعقل ولا كشفها بالحكمة والفلسفة.. قال تعالى: ﴿كل يوم هو فى شأن﴾ (الرحمن: ٢٩).. وقال جل شأنه: ﴿فعال لما يريد﴾ (البروج: ١٦) ، وهذا ما جعل كثيرا من الناس يرددون التساؤل: ما سر هذه الفعالية المحيرة للألباب الجارية فى الكائنات وما حكمتها؟ ولم لا تستقر هذه الموجودات الدائبة فى الحركة، بل تتجدد وتتغير؟

ويزيل تلك الحيرة الإمام النورسى -رضي الله عنه- بقوله:

إن إيضاح هذه الحكمة يحتاج إلى ألف صحيفة، فندع الإيضاح جانبا، ونحصـــر الجواب فى غاية الاختصار فى صحيفتين اثنتين فنقول:

---

(١) ص ١٤٧ ، ١٤٨ من إشارات الإعجاز.

(٢) ص ٤٨٣ من صيقل الإسلام.

إن شخصا ما، إذا أدى وظيفة فطرية، أو قام بمهمة اجتماعية، وسعى فى إنجازهـا سعيا حثيثا، فلا شك أن المشاهد يدرك أنه لا يقوم بهذا العمل إلا بدافعين:

الأول: هو المصالح والثمرات والفوائد التى تترتب على تلك الوظيفة والمهمـة، وهى التى تسمى بـ "العلة الغائية".

الثانى: أن هناك محبة، وشوقا ولذة يشعر بها الإنسان، أثناء أدائه لتلك الوظيفـة، مما يدفعه إلى القيام بها بحرارة وشوق، وهذا ما يسمى بـ "الداعى والمقتضى".

مثال ذلك: أن الأكل وظيفة فطرية، يشتاق الإنسان إلى القيام بها، بدافع مـن لذة ناشئة من الشهية، ومن بعدها، فهناك إنماء الجسم وإدامة الحياة، كنتيجـة للأكل وثمرة له. "ولله المثل الأعلى" فإن الفعالية الجارية فى هذا الكون الواسـع، التى تحير الألباب، وتجعل العقول فى غمرة واندهاش وإعجاب، إنما تسـتند إلى قسمين من الأسماء وتجرى نتيجة إظهار حكمتين اثنتين واسعتين، بحيث أن كـلا منهما لا يحدها حدود.

الحكمة الأولى:

أن أسماء الله الحسنى لها تجليات لا تحد ولا تحصر، فتنوع المخلوقات إلى أنواع ـ تحصر، ناشئ من تنوع تلك التجليات غير المحصورة. والأسماء بحد ذاتها لابد لهـا من الظهور، أى تستدعى إظهار نقوشها، أى تقتضى مشاهدة تجليات جمالهـا فى مرايا نقوشها وإشهادها. بمعنى أن تلك الأسماء تقضى بتجدد كتاب الكـون، أى تجدد الموجودات آنا فآنا، باستمرار دون توقف، أى تلك الأسماء تقتضى كتابـة الموجودات مجددا، وببلاغة ومغزى دقيق، بحيث يظهر كل مكتوب نفسه أمـام نظر الخالق جل وعلا، وأمام أنظار المطالعين من الموجودات المالكـة للشـعور، ويدفعهم لقراءته.

الحكمة الثانية:

كما أن الفعالية الموجودة فى المخلوقات قاطبة، نابعة من لذة ومن شهية ومـن شوق، بل إن فى كل فعالية منها لذة، بل كل فعالية هى بحد ذاتها نوع من اللذة. (ولله المثل الأعلى) فهناك شفقة مقدسة مطلقة، ومحبة مقدسة مطلقة، تليقان بـه

سبحانه، وتلائمان غناه المطلق، وتعاليه وتقدسه، وتوافقان كماله المطلق. ثم إن هناك شوقا مقدسا مطلقا يليق به، آت من تلك الشفقة المقدسة والمحبة المقدسة، وهناك سرور مقدس ناشئ من ذلك الشوق المقدس، وهناك لذة مقدسة لائقة به – إن جاز التعبير – ناشئة من ذلك السرور المقدس، ثم إن الرحمة المطلقة النابعة من تلك اللذة المقدسة، وما ينشأ من المخلوقات قاطبة من رضى عام وكمال شامل من انطلاق استعداداتها، من القوة إلى الفعل وتكملها، ضمن فعالية القدرة.. فما ينشأ من كل هذا من رضى مقدس مطلق – إن جاز التعبير – وافتخار مقدس مطلق.. كل ذلك بما يليق ويخص الرحمن الرحيم سبحانه، يقتضي فعالية مطلقة وبصورة لا تحد.

وحيث أن الفلسفة والعلم تجهلان هذه الحكمة الدقيقة في الفعالية الجارية في الوجود، خلط أصحابها الطبيعة الصماء، والمصادفة العشواء، والأسباب الجامدة، في غمرة هذه الفعالية البصيرة العليمة الحكيمة، فما اهتدوا إلى نور الحقيقة بل ضلوا ضلالا بعيدا.. لأن من اعتمد على عقله فقط ضل، وهذا يبرهن على استحالة تحقيق المعراج الروحي بالعقل وحده.

- ## تاسع تلك المؤشرات:

لما كان الإنسان مكلف بجهات ثلاث: باعتبار قلبه بالتسليم والانقياد، ومن جهة عقله بالإيمان والتوحيد، وبالنظر إلى قالبه بالعمل والعبادة[1].

لذلك فإن العروج إلى الله، يستلزم أن يكون بتلك الجهات الثلاث، التي اهتم القرآن الكريم بمخاطبتها.

ولهذا فإن القرآن الكريم مائدة سماوية: تجد فيها آلاف من مختلف طبقات الأفكار والعقول والقلوب والأرواح غذائهم، كل حسب ما يشتهيه ويلبي رغباته[2].. فهو قوت وغذاء للقلوب، وقوة وغناء للعقول، وماء وضياء للأرواح، ودواء وشفاء للنفوس[3].

---

(١) ص ١٥٨ من المثنوي العربي النوري.

(٢) ص ٤٥١ من الكلمات.

(٣) ص ٤٣٧ من الكلمات.

لذلك فمن أراد العروج إلى الله فعليه بالقرآن: فهو المربى لهذا العالم الإنسانى، وهو الحكمة الحقيقية للبشر، وهو المرشد المهدى إلى ما يسوق الإنسانية إلى السعادة، وهو كتاب شريعة، وكتاب حكمة، وكتاب دعاء وعبودية، وكتاب أمر ودعوة، وكتاب ذكر وفكر.. وهو الكتاب الوحيد المقدس الجامع لكل الكتب، التى تحقق جميع حاجات الإنسان المعنوية.

إذ نقطة استناده:	الوحى السماوى والكلام الأزلى باليقين.
هدفه وغايته:	السعادة الأبدية بالمشاهدة.
محتواه:	هداية خالصة بالبداهة.
أعلاه:	أنوار الإيمان بالضرورة.
أسفله:	الدليل وأكبر برهان بعلم اليقين.
يمينه:	تسليم القلب والوجدان بالتجربة.
يساره:	تسخير العقل والإذعان بعين اليقين.
ثمرته:	رحمة الرحمن ودار الجنان بحق اليقين.
مقامه:	قبول الملك والإنس والجان بالحدس الصادق[1].

فمن أراد الاستفادة الحقيقية من القرآن، لعروج الروح إلى مدارج الرحمن، فعليه أن يستمع إليه بكل ما يملك من كيان، حتى تفيض الأنوار على قلبه وعقله وروحه ووجدانه، ويستطيع الإنسان بذلك مواجهة كل مشكلاته وآلامه.. وصدق الله العظيم إذ يقول جل شأنه: ﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ (ق، ٣٧).

وهكذا بعد استعراض تلك المؤشرات – التى تعتبر غيض من فيض رسائل النور – يتبين لنا كيف نجح الإمام النورسى –رحمه الله– فى البرهنة على أنه لا يمكن أن يكون للعقل القيادة والأولوية فى تحقيق مسيرة المعراج الروحى للإنسان فى عالم

(١) ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ من الكلمات

الملكوت.. بل تلك القيادة يجب أن يتولاها القلب العامر بنور الإيمان، لأنــه مــرآة تجلى الصمد، يمكن أن يعكس ما فى الكون من حقائق إيمانية لا تحد، وأنوار الوجــود وأسراره التى لا تنتهى.

خاتمة الجزء الأول
سياحة فى عالم الملك والملكوت
بالعقل والقلب معا

لقد رأينا فى ختام الجزء الأول – إتماما للفائدة – أن نسجل تلك السياحة المباركة للإمام النورسى –رضي الله عنه– والتى يسميها "سياحتى الخيالية" حتى يخاطبنا بما يناسب عقولنا، التى لا تفهم إلا كل ما هو مادى محسوس.. ولكن فى الحقيقة إنها سياحة روحية بالعقل والقلب، وهى ما يسمى "بالكشف" الذى يمنحه الله لأوليائه الصالحين المتقين، زيادة فى كراماتهم، ورفعة لدرجاتهم، وعنوانا لدرجة يقينهم.. وندعو الله أن يستفيد من هذه السياحة، كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ليجاهد فى الله حق جهاده، حتى يفيض الله عليه من فيوضاته التى لا تنضب، ويشرب من مشارب القوم، وتصبح نفسه مطمئنة، وتعود إلى ربها راضية مرضية، بإذنه تعالى ومشيئته.

أما عن سياحة الإمام النورسى -رضي الله عنه- فهو يقول[1]:

فى أثناء سياحتى الخيالية تلك، رأيت عالم الحيوان، ذلك العالم المحتاج إلى الرزق والتقوت. وعندما تأملته من وجهة نظر الفلسفة المادية، أظهر لى – ذلك العالم من الأحياء – عالما رهيبا مؤلما؛ بما فيه من ضعف وعجز فضلا عن مسيس احتياجه وشدة جوعه!

ولما كنت أنظر بعين أهل الضلال والغفلة، أطلقت صرخة ملؤها الألم والحزن، وإذا بى أرى ذلك العالم بمنظار الإيمان وحكمة القرآن، فإذا باسم "الرحمن" يشرق من برج "الرزاق" كشمس ساطعة، فأنار ذلك العالم الجائع البائس من الأحياء، وأسبغ عليه نور رحمته.

- ثم رأيت عالما آخر، فى عالم الحيوان هذا، ذلك هو عالم الأفراخ الصغار، التى تنتفض ضعفا وعجزا، وقد تغشاه ظلام محزن أليم، يدعو كل إنسان إلى

(١) ص ٤٨٤ ، ٤٨٧ من صيقل الإسلام.

الإشفاق عليه. ولما كنت أنظر بعين أهل الضلالة، صحت قائلا: واحسرتاه! وإذا بالإيمان يمنحنى نظارة، شاهدت من خلالها: طلوع اسم "الرحيم" من برج الشفقة، ينشر أضواءه الزاهية الجميلة، حتى حول ذلك العالم المحزن، إلى عالم بهيج، وقلب عبرات الشكوى والألم والحزن، المنهمرة من عينى، إلى دموع الفرح والشكر والامتنان.

- ثم تراءى لى عالم الإنسان كشاشة سينمائية، فأنعمت النظر فيه بمنظار أهل الضلالة، وإذا به: عالم مظلم مرعب.. لم أتمالك مع نفسى، فأطلقت صرخة ألم من أعماق قلبى قائلا: وا أسفاه! ذلك لأن آمال الناس وأمانيهم الممتدة إلى الأبد، وتصوراتهم وأفكارهم المحيطة بالكون، وتطلعاتهم الجادة، واستعداداتهم الفطرية التواقة إلى الخلود والجنة والسعادة الأبدية، وقواهم الطليقة غير المحددة فطريا، واحتياجاتهم المتوجهة إلى غايات ومقاصد لا منتهى لها، وتعرضهم – مع ضعفهم وعجزهم – لهجمات ما لا يحصى من المصائب والأعداء.. مع كل هذا، لهم عمر جد قصير، ويحيون حياة ملؤها الصخب والقلق، يذوقون مرارة الموت كل يوم، بل كل ساعة، يقاسون ضنك المعيشة فى حياتهم، ويتجرعون آلام الفراق والزوال، التى هى أوجع للقلب، وأثقل على الوجدان. فضلا عن أنهم ينظرون إلى القبر والمقبرة نظر أهل الغفلة، وكأنه باب إلى ظلام سرمدى، يرمون فى غياهبه فردا فردا وطائفة إثر طائفة!

وهكذا.. ففى الوقت الذى رأيت عالم الإنسان هذا، غارقا فى مثل هذه الظلمات، وإذ أنا على وشك الصراخ من أعماق قلبى وروحى وعقلى، بل بجميع مشاعرى، بل بجميع ذرات وجودى، إذا بالنور المنبعث من القرآن والإيمان الراسخ الناشئ منه، يحطم ذلك المنظار المضل، ويهب لعقلى بصرا نافذا أرى به الأسماء الإلهية الحسنى، وقد أشرقت كالشمس الساطعة من بروجها؛ فاسم الله "العادل" رأيته بازغا من برج "الحكيم" واسم "الرحمن" من برج "الكريم" واسم "الرحيم" من برج "الغفور" – أى بمعناه – واسم "الباعث" من برج "الوارث" واسم "المحيى" من برج "المحسن" واسم "الرب" من برج "المالك"

فأضاءت هذه الأسماء بنورها الباهر، عوالم كثيرة داخل عالم الإنسان المظلم، وحولتها إلى عوالم مشرقة بهيجة، كما بددت تلك الحالات الجهنمية، بما فتحت من نوافذ إلى عالم الآخرة، حتى نثرت الأنوار، إلى جميع جوانب ذلك العالم البائس للإنسان. فقلت: "الحمد لله".. "الشكر لله.." بعدد ذرات العالم، ورأيت بعين اليقين وعلمت علم اليقين:

"أن فى الإيمان حقا جنة معنوية، وأن فى الضلال جحيما معنويا أيضا فى هذه الدنيا ذاتها".

- ثم ظهر فى تلك الجولة عالم كرة الأرض، فعكست القوانين العلمية المظلمة بالفلسفة، غير المنقادة للدين، إلى خيالى عالما فى منتهى الغرابة والدهشة. إذ تأملت هذه الأرض، التى تزيد سرعة حركتها على سرعة طلقة المدفع بسبعين مرة، وتقطع مسافة خمسة وعشرين ألف سنة، فى سنة واحدة، وهى مع شيخوختها وهرمها معرضة للتشتت والتحطم فى كل لحظة، وتحمل فى باطنها زلازل مخيفة، وعلى ظهرها هذا الإنسان البائس، الذى تجوب به أجواء الفضاء غير المحدود.. فأشفقت على وضع هذا الإنسان، وسط هذا الظلام الدامس الموحش المخيم عليه، ودار رأسى من هول ما رأيت، وأظلمت الدنيا أمام عينى، فطرحت نظارة الفلسفة أرضا وحطمتها كليا. ونظرت إلى الأمر ببصيرة وضاءة بحكمة القرآن، وإذا بأسماء خالق الأرض والسموات: القدير، العليم، الرب، الله، رب السموات والأرض ومسخر الشمس والقمر، قد أشرقت من بروج الرحمة والعظمة والربوبية شروق الشمس. فغمرت ذلك العالم الحالك الموحش المذهل، بنور زاه باهر، جعلنى أبصر بعينى المؤمنتين هاتين: إن الكرة الأرضية فى غاية الانتظام، والتسخير والتكامل للإنسان، وهى فى أمان وسلام، فيها رزق كل من يدب عليها، كأنها سفينة سياحية مهيأة للتنزه، والراحة والاستجمام والتجارة. تتجول بما عليها من مخلوقات، حول الشمس فى مملكة ربانية واسعة، وهى مشحونة بالرزق كأنها قطار أو سفينة أو طائرة مشحونة فى الربيع والصيف والخريف. فقلت وقتئذ "الحمد لله على نعمة الإيمان" بعدد ما فى الأرض من ذرات.

◆ وفى ضوء هذا المثال، تستطيع أن تقيس كثيرا من الموازنات الأخرى، التى تتضمنها "رسائل النور" والتى تثبت: أن أرباب السفاهة والضلال يذوقون فى الدنيا نفسها عذابا جهنميا معنويا، كما أن أهل الصلاح والإيمان يعيشون فى جنة معنوية فى هذه الدنيا. وبإمكانهم أن يتذوقوا طعوم لذائذ تلك الجنة المعنوية، بحواسهم ولطائفهم الإسلامية والإنسانية، وبتجليات الإيمان وجلواته. بل يمكنهم الاستفادة من تلك اللذات حسب تفاوت درجاتهم الإيمانية.

بيد أن طبيعة هذا العصر العاصف، الذى تسود فيه التيارات المعطلة للمشاعر، والصارفة لأنظار البشرية إلى الآفاق الخاوية والغرق فيها، قد أوجدت صعقة من النوع الذى يعطل الإحساس.. لذا فإن أرباب الضلال لا يشعرون بعذابهم المعنوى مؤقتا، وأن أهل الهداية بدورهم قد داهمتهم الغفلة، فلا يستطيعون أن يقدروا لذة الإيمان الحقيقية حق قدرها.

وفى نهاية هذه الجولة السياحية المباركة: ندعو الله من أعماق قلوبنا، أن يكون قد استفاد منها أصحاب القلوب النيرة، والعقول المتدبرة، حيث يعرفون قيمة الإيمان، فى تغيير مفهومنا للحياة، وكيف ان الحياة بحق نعمة عظمى، تستحق السجود شكرا لله، بدل ضياع العمر فى الحسرات على ما فات.. رغم أن المطلوب منا اغتنام الساعات والأوقات، فى عمل الصالحات، لنفوز بما يصبو إليه القلب والعقل من جنات خالدات.

وبهذا نكون قد انتهينا من الجزء الأول، الذى تجولنا فيه داخل العقل والقلب، للتعرف على إمكانيات كل منهما، حتى يحقق الإنسان الغرض من وجوده، ويتغلب على ما يصادفه من معوقات فى مسيرة الإيمان الخالدة.

وننتقل بعد ذلك إلى الجزء الثانى: حيث نناقش فيه بعض المشكلات العقلية والقلبية، التى تمنع الإنسان من الوصول إلى مرحلة اليقين التام، حيث يقف وجوده البشرى أحيانا، عقبة دون تفهم عالم الغيب، رغم أنه من المتطلبات الأساسية للإيمان "الإيمان بالغيب" وذلك فى أول آيات القرآن الكريم، التى نفتتح بها قرآننا، حيث

يقول المولى ﷻ: ﴿الم ۞ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ۞ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ (البقرة ١ ، ٣).

ولكى يتحقق لكل مسلم تلك الصفة الرائعة: وهى "الإيمان بالغيب" بكل الاطمئنان وبكل اليقين، رغم كل تحديات العصر المادية.. نحاول بعون الله حشد أكبر عدد من التساؤلات، التى تحول دون وصول المسلم إلى تلك المكانة السامية، وتشكل نقصا فى إيمانه التحقيقى.

وندعو الله أن يجازى الإمام النورسى عنا جميعا خير الجزاء، حيث أجاب عن تلك التساؤلات، بما يناسب عقولنا وتطور عصرنا.. بل إن إجاباته هذه تصلح لأجيال العصور القادمة أيضا، بما يحقق لها الاقتناع التام مهما تغير الزمان، لأنها تستمد ينبوعها من حقائق القرآن، التى يخبو مع سطوع أنوارها، كل الضلالات والأوهام التى تطرأ على العقول والأفكار.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق
ولكم الويل مما تصفون﴾

(الأنبياء: ١٨)

الجزء الثالث

تساؤلات وإجابات

ترشد العقل وتطمئن القلب

تقديم:

استعرضنا فى الجزء الأول إمكانيات العقل والقلب ومجال كل منهما فى التعرف على عالم الملك والملكوت، وكيف يحقق إجتماعهما معا - فى ظل التوحيد - الأمان والرقى للإنسان.

ونقوم فى هذا الجزء - بعون الله ومشيئته - بإجمال بعض التساؤلات التى تمثل حجر عثرة فى طريق المعراج الروحى، والإيمان اليقينى لكل المسلمين.. بل تسبب كثيرا من المشكلات العقلية والقلبية التى تثير البلبلة الفكرية، والاضطرابات القلبية.. وهذا لا يتفق مع مقتضيات الإيمان لأن الاطمئنان القلبى ضرورة إيمانية، ليستكمل المؤمن مقومات الإيمان الحقيقية، وذلك كما ذكر لنا المولى سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم، فى سياق حواره جل شأنه مع الخليل إبراهيم : ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾ (البقرة: ٢٦٠).

ومن هذا المنطلق القرآنى: فإن الإمام النورسى -رضي الله عنه- لم يترك أى تساؤل عقلى، يعرقل مسيرة الإيمان، ويحول دون الاطمئنان إلا وأجاب عليه، بما يتوافق مع عقول البشر، ويحقق اليقين القلبى.. وتلك موهبة لا تتوافر للكثيرين لأنها تتطلب قدرات عقلية، وأنوار إيمانية، وكشوفات ربانية، لا تتأتى إلا لمن اتصل بالنفس المحمدية، واغترف من خزائن العلوم الاصطفائية..

ولذلك فإن تلك الإجابات التى نغترفها من رسائل النور، ونسجلها هنا، تعتبر كنوز نورانية، تستلزم أن نعيها بعقول واعية، وقلوب صافية، لكى تحقق أهدافها فى

تبديد ظلمات الجهالة، وتحويل شكوك الأوهام إلى يقين الإيمان.

ولما كانت الأسئلة التى وجهت إلى الإمام النورسى -رحمه الله- تجــل عــن الحصر فى بحث كهذا.. لذلك حاولنا اختيار بعض المقتطفات من موضوعات متنوعة، تشكل فى مجموعها الإجابة على كثير من التساؤلات، التى قلما ينجو منها مؤمــن، خلال رحلته الإيمانية، مما يعوق تحقيق الإيمان اليقينى، الذى يشمل اقتنــاع العقــل واطمئنان القلب.

ومن البحر الخضم لرسائل النور، اخترنا أســئلة وإجاباتهــا، حــول الموضوعــات التالية(*):

- تساؤلات حول دلائل الوحدانية.
- تساؤلات حول القضاء والقدر.
- تساؤلات حول الموت والروح واليوم الآخر.
- تساؤلات حول الحكمة فى خلق الشياطين والشرور.
- وقد ختمنا تلك التساؤلات بسؤال يلح على كل مسلم ومسلمة، من منطلق أن الإنسان خلق عجولا.. ذلك السؤال هو: لماذا لا يستجاب الدعاء أحيانا؟

وندعو الله من أعماق قلوبنا، أن يكون ما اخترناه من أسئلة

يتوافق مع الغرض من بحثنا.. والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾

(هود: ٨٨)

(*) نود أن نلفت النظر إلى أن ما اخترناه من أسئلة وإجاباهـا، لا يمثل سوى قطرة من البحر الخضــم الــذى خاضه الإمام النورسى، ليزيل كل لبس أو غموض، عن عقيدة التوحيد الساطعة الأنوار.. وعلى من يريــد المزيد أن يرجع إلى رسائل النور، فهى النبع الفياض الذى استقينا منه مشربنا.

أولا: تساؤلات حول دلائل الوحدانية

﴿لو كان فيهما إله إلا الله لفسدتا﴾ (الأنبياء: ٢٢)

﴿قل هو الله أحد ۞ الله الصمد﴾

إن تثبيت الوحدانية فى القلوب، وتقريب مفهومها ومدلولاتها إلى العقول، كان الشغل الشاغل للإمام النورسى، والراية التى جاهد تحت ظلها، فى ظل قيادة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، والأنشودة العذبة التى رددتها كل ذرة فى كيانه، والغاية العظمى التى سخر حياته وعصارة فكره من أجلها.

ومما قاله إمامنا الجليل فى ذلك[1]:

إن تشابه آثار العالم، وتعانق أطرافه، وأخذ بعضه بيد بعض، وتكميل بعضه، انتظام البعض الآخر، وتجاوب الجوانب، وتلبية بعض لسؤال بعض، ونظر الكل إلى نقطة واحدة، وحركة الكل بالانتظام على محور نظام واحد.. كل هذا يلوح بوحدانية الصانع بل يصرح: بأن صانع هذه الماكنة الواحدة واحد. ويتلو على الكل:

وفى كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

إن الأبعاد الشاسعة غير المتناهية للآفاق، هى صحائف كتاب العالم، والآثار التى لا تعد هى سطور كائنات الدهر.. قد طبعت فى لوح الطبيعة المحفوظ: أن كل موجود لفظ مجسم حكيم.

ويضيف إمامنا الجليل[2]:

إن كل ذرة من ذرات الكائنات، بينما هى مترددة فى إمكانات واحتمالات غير محدودة، بذاتها وصفاتها وسائر وجوهها، إذا بها تسلك مسلكا معينا، وتتجه وجهة مخصصة، فتنتج مصالح وفوائد تتحير منها الألباب. مما تدل على وجوب وجوده سبحانه، وتشهد شهادة صادقة عليه، وفى الوقت نفسه تزيد سطوع الإيمان،

(١) ص ١٣٣ من صيقل الإسلام.

(٢) ص ٢١ ، ٢٢ من صيقل الإسلام ويمكن مراجعة المثنوى ص ٤٢٣ ، ٤٢٤.

المودع فى اللطيفة الربانية للإنسان، الممثلة لنموذج عوالم الغيب.

نعم! كما أن كل ذرة من ذرات الكون تدل على الخالق الكريم بذاتها، وبوجودها المنفرد، وبصفاتها، وخواصها، فإنها تدل عليه دلالات أكثر: بمحافظتها على موازنة القوانين العامة الجارية فى الكون لكونها جزءا من مركبات متداخلة متصاعدة، فى أجزاء الكون الواسع؛ حتى أنها تستقرئ دلائل الوجود فيها.. لذا غدت الدلائل على وجوده سبحانه، أكثر بكثير من الذرات نفسها.

- فإذا قلت: لم إذا لا يراه كل فرد بعقله؟

الجواب: لكمال ظهوره جل وعلا.

نعم! إن هناك أجراما مادية لا ترى من شدة ظهورها – كالشمس – فكيف بالصانع الجليل المنزة عن المادة!

تأمل سطور الكائنات فإنها　　　من الملأ الأعلى إليك رسائل

تأمل فى صحائف العالم بعين الحكمة، فانظر كيف سطر البارئ المصور، فى تلك الأبعاد الشاسعة سلسلة الحوادث. وانعم النظر فى تلك الرسائل الآتية من الملأ الأعلى، كى ترفعك إلى أعلى علي اليقين.

إن وجدان الإنسان لا ينسى الله قط. لما غرز فيه من "نقطتى الاستمداد والاستناد" بل حتى لو عطل الدماغ أعماله، فالوجدان لا ينسى؛ لأنه منهمك بتلك الوظيفيتين المهمتين؛ كالآتى:

إن قلب الإنسان مثلما ينشر الحياة إلى أرجاء الجسد، فالعقدة الحياتية فى الوجدان –وهى معرفة الله– تنشر الحياة إلى آمال الإنسان وميوله، المتشعبة فى مواهبه واستعداداته، غير المحدودة. كل بما يلائمه، فتقطر فيها اللذة والنشوة، وتزيدها قيمة وترفعها شأنا، بل تبسطها وتصقلها. هذه هى نقطة الاستمداد.

ثم إن معرفة الله نقطة استناد وحيدة للإنسان، تجاه تقلبات الحياة ودواماتها، وتزاحم المصايب وتوالى النكبات. إذ لو لم يعتقد الإنسان بالخالق الحكيم، الذى أمره كله حكمة ونظام، وأسند الأمور والحوادث إلى المصادفات العمياء، وركن إليها،

وإلى ما يملكه من قوة هزيلة، لا تقام شيئا، فسينتابه الفزع والرعب، وينهار من هول ما يحيط به من بلايا. وسيشعر بحالات أليمة تذكر بعذاب جهنم.. وهذا ما لا يتفق وكمال روح الإنسان المكرم، إذ يستلزم سقوطه إلى هاوية الذل والمهانة، مما ينافى روح النظام المتقن القائم فى الكون كله.

وهذه هى نقطة الاستناد.. نعم! لا ملجأ إلا بمعرفة الله!

إذن فالوجدان يطل على الحقائق بذاتها من هاتين النافذتين، فيرى هيمنة النظام على العالم كله، والخالق الكريم ينشر نور معرفته، ويبثها فى وجدان كل إنسان، من هاتين النافذتين.. فمهما أطبق العقل جفنه، ومهما أغمض عينه، فالفطرة تراه، وعيون الوجدان مفتحة دائما، والقلب نافذة مفتوحة.

الرد على أسئلة داعية أهل الشرك والضلال:

نشهد للإمام النورسى شهادة حق، نستودعها خزائن الرحمة الإلهية، إلى يوم القيامة، أنه لم يأل جهدا فى تثبيت الوحدانية فى القلوب والعقول، وإزالة كل شائبة أوران، قد يعلو وجه التوحيد المشرق الوضاء. فكل رسائل النور زاخرة بجهده الجبار فى هذا المضمار.. وننتقى من تلك الرسائل، تلك الزهرات النيرات.

فيقول ﷺ [1]:

إن داعية أهل الشرك والضلال، يحاول تشكيك أهل التوحيد فى التوحيد، وذلك بإلقاء الشبهات، فيما يخص الأحدية والوحدانية، من خلال ثلاثة أسئلة مهمة:

- ### سؤال:

إنه يقول بلسان الزندقة: يا أهل التوحيد كيف تثبتون أنتم وجود واحد أحد قدير مطلق القدرة؟ فلم ترون أنه لا يمكن قطعا أن تدخل أيدى أخرى مع قدرته.

الجواب: إن جميع الموجودات من الذرات إلى السيارات، كل منها برهان نير على وجوب وجوده سبحانه، وهو الواجب الوجود والقدير المطلق، فكل سلسلة

---

(١) ص ٧٢٣ : ٧٣١ من الكلمات.

من السلاسل الموجودة فى العالم، دليل قاطع على وحدانيته، وقد أثبت القرآن الكريم هذا، بما لا يحد من البراهين، إلا أنه يزيد من ذكر البراهين الظاهرة لعموم المخاطبين. ففى قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ (الزمر: ٣٨). وقوله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ (الروم: ٢٢). وأمثالها من الآيات العديدة، يعرض القرآن الكريم خلق السموات والأرض، برهانا على الوحدانية بدرجة البداهة. فكل من يملك شعورا مضطر إلى تصديق خالقه، فى خلقه السموات والأرض، كما فى قوله تعالى: ﴿ليقولن الله﴾.

فالقرآن الكريم يطرد الشرك وينفيه، ابتداء من النجوم والسموات، وانتهاء إلى الذرات، بمثل هذه الآيات الجليلة، فيشير ويومئ إلى:

أن القدير المطلق الذى خلق السموات والأرض فى نظام بديع، لابد وأن تكون المنظومة الشمسية – التى هى من دوائر مصنوعاته – فى قبضته بالبداهة.

وما دام ذلك القدير المطلق، يمسك الشمس وسيارالها فى قبضته، وينظمها ويسخرها، ويديرها. فلابد أن الأرض التى هى جزء من تلك المنظومة، ومرتبطة بالشمس، فى قبضته سبحانه، وضمن إدارته وتدبيره أيضا.

وما دامت الكرة الأرضية ضمن تدبيره سبحانه وضمن إدارته، فالبداهة تكون المصنوعات التى تخلق وتكتب على وجه الأرض، التى هى بمثابة ثمرات الأرض وغاياها، فى قبضة ربوبيته سبحانه.

وما دامت جميع المصنوعات المنشورة والمنثورة على وجه الأرض، والتى تجملها وتزينها وتملؤها وتفرغها منها كل حين، فى قبضة قدرته وعلمه، وأها توزن وتنظم بميزان عدله وحكمته.

وما دام كل ذى حياة فى قبضة تدبيره وتربيته، فلابد أن الحجيرات والكريات والأعضاء والأعصاب – التى تشكل وجود ذلك الكائن الحى – فى قبضة علمه وقدرته بالبداهة. ولابد أها تتحرك بانتظام، وتؤدى على أتم وجه، بأمره وإذنه وقوته.

وما دامت حركة كل ذرة وأداؤها الوظائف، بقانونه وإذنه وأمره، فلابـد أن تشخصات الوجه وملامحه، ووجود العلامات الفارقة، المميزة لكل فرد عن الآخـر، سواء فى الملامح، أو فى الألسنة، إنما هى بعلمه وحكمته بالبداهة.

فتدبر فى هذه الآية الكريمة، التى تبين مبدأ هذه السلسلة (المذكورة) ومنتهاها:

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾ (الروم، ٢٢).

فيا داعية أهل الشرك! إن البراهين التى تثبت مسلك التوحيد، وتدل على قدير مطلق القدرة، قوية وكثيرة، بقوة سلسلة الكائنات.. إذ مادام خلق السموات والأرض يدل على صانع قدير، ويدل على قدرته المطلقة، وعلى كمال تلك القدرة لديه، فلابد من استغناء مطلق عن الشركاء، أى لا حاجة إلى شركاء فى أية جهة كانت. وحيث لا حاجة إلى شركاء، والكائنات كلها مستغنية عن الشركاء، استغناء مطلقا، فلاشك أن وجود شريك للألوهية والربوبية، وفى الإيجاد أيضا، ممتنع محال؛ لأن القدرة التى يملكها صانع السموات والأرض، قدرة لا منتهى لها، وهى فى غاية الكمال - ولو وجد شريك، يلزم أن تكون له قدرة أخرى متناهية، تغلب تلك القدرة غير المتناهية، والتى هى فى غاية الكمال، وتستولى على موضع منها فتمنع لا تناهيها، وتجعلها فى وضع عجز معنوى، وتحدها، وهى غير محدودة بالذات، وهذا هو أبعد المحالات، وأبعد الممتنعات، عن العقل والمنطق.

وهكذا لعدم وجود سبب، لادعاء تلك الدعوى عقلا ولا منطقا ولا فكرا، يعد كلاما لا معنى له، ويعبر عن هذا فى علم الأصول اصطلاح: تحكمى، بمعنى أنه دعوى مجردة لا معنى لها.

ومن الدساتير المقررة فى علم الكلام والأصول:

لا عبرة للاحتمال غير الناشئ عن دليل، ولا ينافى الإمكان الذاتى اليقين العلمى:

مثال ذلك: من الممكن والمحتمل أن تتحول بحيرة (بارلا) إلى دبس، وينقلب إلى دهن، وهذا احتمال ولكن هذا الاحتمال لا ينشأ من أمارة، فلا يؤثر ولا يلقى

شكا ولا شبهة، فى يقيننا العلمى، بأن البحيرة من ماء.

لذا فلا توجد أية أمارة فى موجودات الكائنات، يمكن أن يبنى عليها احتمال الشرك. بمعنى أن دعوى الشرك، دعوى تحكمية بحتة، أو كلام لا معنى له، ودعوى مجردة عن الحقيقة، لذا فإن من ادعى الشرك بعد هذا، فهو إذن فى جهالة جهلاء، وبلاهة بلهاء.

♦ سؤال:

إن ما فى الكائنات من ترتيب الأشياء، أمارة على الشرك، إذ كل شىء مربوط بسبب، بمعنى أن للأسباب تأثيرا حقيقيا، أفلا يمكن أن تكون شركاء؟.

الجواب: إن المسببات قد ربطت بالأسباب، بمقتضى المشيئة الإلهية وحكمتها، ولاستلزام ظهور كثير من الأسماء الحسنى، يربط كل شىء بسبب، والدليل على ذلك:

أن الإنسان بالبداهة هو أشرف الأسباب، وأوسعها اختيارا، وأشملها تصرفا فى الأمور، وهو فى أظهر أفعاله الاختيارية، كالأكل والكلام والفكر – التى كل منها عبارة عن سلسلة عجيبة، وفى غاية الانتظام والحكمة – ليس له نصيب منها، إلا واحدا من مائة جزء من السلسلة.

فمثلا: سلسلة الأفعال التى تبدأ من الأكل وتغذية الحجيرات، حتى تبلغ تشكل الثمرات، ليس للإنسان – ضمن هذه السلسلة الطويلة – إلا مضغه للطعام. ومن سلسلة التكلم ليس له إلا ادخال الهواء إلى قوالب مخارج الحروف وإخراجه منها. علما أن كلمة واحدة فى فمه مع كونها كالبذرة، إلا أنها فى حكم شجرة، حيث أنها تثمر ملايين الكلمات نفسها فى الهواء، وتدخل إلى أسماع ملايين المستمعين، بينما لا تصل إلى هذه الشجرة المثالية، والسنبل المثالى، إلا يد خيال الإنسان.. فأنى لليد القصيرة للاختيار أن تصل إليه.

فإن كان الإنسان وهو أشرف الموجودات وأكثرها اختيارا، مغلول اليد عن الإيجاد الحقيقى، فكيف بالجمادات والبهائم والعناصر والطبيعة، كيف تكون متصرفة تصرفا حقيقيا؟!

فتلك الأسباب ما هى إلا أغلفة المصنوعات الربانية، وظروف الهدايا الرحمانية، وخدمة لتقديمها فلاشك أن الصحون التى تقدم فيها هدايا السلطان، أو القماش المغلف للهدية، أو الجندى الذى سلمت بيده هدية السلطان، لن يكون شريكا للسلطان قطعا. فمن توهم ذلك فقد تفوه بهذيان ما بعده هذيان.

وهكذا ليست للأسباب الظاهرية، والوسائط الصورية، حصة فى الربوبية الإلهية قطعا، وليست لها إلا القيام بخدمات العبودية.

♦ سؤال:

يا أهل التوحيد! أنتم تقولون : ﴿قل هو الله أحد ۞ الله الصمد﴾ أى أن خالق العالم واحد، أحد، صمد، وهو خالق كل شىء، بيده مقاليد كل شىء، وهو الأحد الفرد، بيده مفاتيح كل شىء، أخذ بناصية كل شىء، يتصرف فى الأشياء كلها فى آن واحد، بأحوالها كافة دون أن يمنع شىء شيئا.. كيف يمكن تصديق حقيقة عجيبة كهذه؟ فهل يمكن لواحد مشخص، أن يقوم بأعمال غير متناهية، فى أماكن غير متناهية، وبلا صعوبة؟

الجواب: يجاب عن هذا السؤال ببيان سر الأحدية والصمدانية، الذى هو فى غاية العمق، ومنتهى الرفعة، ونهاية السعة.. حتى أن فكر الإنسان يقصر عن فهم ذلك السر العظيم، إلا بمنظار التمثيل، ورصد المثل. وحيث أنه لا مثل ولا مثيل لذات الله سبحانه، ولا لصفاته الجليلة، إلا ما كان من المثل والتمثيل فى شؤونه الحكيمة. لذا نشير إلى ذلك السر بأمثلة مادية:

المثال الأول:

إن شخصا واحدا يكسب صفة كلية بوساطة المرايا، ومع كونه جزئيا حقيقيا، يصبح فى حكم كلى مالك لشؤون كثيرة.

وكما أن الزجاج والماء وأمثالهما من المواد، تكون مرايا للأشياء الجسمانية (المادية) وتكسب الشىء المادى صفة كلية، كذلك الهواء والأثير، وبعض موجودات عالم المثال، يصبح فى حكم مرايا ويتحول إلى صورة وسائط للسير والسياحة، فى سرعة البرق والخيال، بحيث يتجول أولئك النورانيون والروحانيون، فى تلك المرايا

الظاهرة، وفى تلك المنازل اللطيفة فى سرعة الخيال، فيدخلون فى آن واحد ألوف الأماكن والمواضع. وحيث أنهم نورانيون، وصورهم فى المرايا هى عينهم، ومالكة لصفاقم – بخلاف الجسمانيين – فإنهم يسيطرون على تلك الأماكن، كأنهم موجودون فيها بذواقم. بينما صور الجسمانيين الكثيفة، ليست عينها، كما أنها ليست مالكة لصفاقا، فهى ميتة.

مثلا: الشمس، مع أنها جزئى مشخص، إلا أنها تصبح فى حكم كلى، بوساطة المواد اللماعة، إذ تعطى صورقا ومثالها، إلى كل مادة لماعة على سطح الأرض، وإلى كل قطرة ماء، وإلى كل قطعة زجاج – كل حسب قابليته – فتكون حرارة الشمس وضياؤها، وما فيه من ألوان سبعة، مع نوع من صورة ذاقا المثالية، موجودة فى كل جسم لماع.

فلو فرض أن للشمس علما وشعورا، لكانت كل مرآة شبيهة بمترلها، وبمثابة عرشها وكرسيها وتلتقى بذاقا كل شيء، وتتصل – كما فى الهاتف – مع كل ذى شعور بوساطة المرايا.. بل حتى ببؤبو عينه، فما يمنع شيء شيئا، ولا تحجب مخابرة بالهاتف مخابرة أخرى. فمع أنها موجودة فى كل مكان، إلا أنها لا يحدها مكان.

فالشمس التى هى فى حكم مرآة مادية وجزئية وجامعة، لاسم واحد من ألف اسم واسم، من الأسماء الإلهية الحسنى، وهو "النور".. إن كانت مع تشخصها تنال إلى هذه الدرجة من الأفعال الكلية، وتكون فى أماكن كلية، أفلا يستطيع ذلك الجليل ذو الجلال، بأحديته الذاتية، أن يفعل ما لا يتناهى من الأفعال، فى آن واحد؟!

المثال الثانى:

إن مخلوقات عاجزة ومسخرة كالشمس، ومصنوعات شبه نورانية مقيدة بالمادة كالروحانى، إن كان يمكن أن توجد فى موضع واحد، وفى عدة مواضع فى الوقت نفسه، بسر النورانية؛ إذ بينما هو جزئى مقيد، يكسب حكما كليا مطلقا، يفعل باختيار جزئى أعمالا كثيرة فى آن واحد.. فكيف إذن بمن هو مجرد عن المادة، ومقدس عنها، ومن هو متره عن التحديد بالقيد وظلمة الكثافة، ومبرأ عنها، بل ما

هذه الأنوار والنورانيات كلها إلا ظلال كثيفة لأنوار أسمائه الحسنى، وما جميع الوجود والحياة كلها، وعالم الأرواح وعالم المثال، إلا مرايا شبه شفافة، لإظهار جمال ذلك القدوس الجليل، الذى صفاته محيطة بكل شيء، وشؤونه شاملة كل شيء.

ترى أى شيء يستطيع أن يتستر عن توجه أحديته فى تجلى صفاته المحيطة، وتجلى أفعاله بإرادته الكلية وقدرته المطلقة، وعلمه المحيط بكل شيء؟

أو يمكن أن يمنع شيء شيئا؟ أفيمكن أن يخلو موضع من حضوره؟ ألا يكون له بصر يبصر كل موجود، وسمع يسمع كل موجود، كما قال ابن عباس رضي الله عنه؟

أو لا تكون سلسلة الأشياء كالأسلاك والعروق، لجريان أوامره وقوانينه بسرعة؟ أفلا تكون الموانع والعوائق وسائل ووسائط لتصرفه؟ أو تكون الأسباب والوسائط حجبا ظاهرية بحتة؟

ألا يكون فى كل مكان وهو المنزه عن المكان؟ أيمكن أن يكون محتاجا إلى التحيز والتمكن؟ أيمكن أن يكون البعد والصغر، وحجب طبقات الوجود، موانع لقربه وتصرفه وشهوده؟ وهل يمكن أن تلحق بالذات المقدسة لله سبحانه، المجرد عن المادة، الواجب الوجود، نور الأنوار الواحد الأحد، المنزه عن القيود، المبرأ عن الحدود، المقدس عن القصور، والمعلى عن النقصان.. هل يمكن أن تلحقه تعالى خواص الماديات والممكنات والكثيفات والكثيرات والمقيدات، وما يلزم المادة والإمكان والكثافة والكثرة والتقيد والمحدودية من أمور، أمثال التغير والتبدل والتجزؤ؟

أيليق به العجز؟ أيقرب القصور من طرف عزته الجليلة جل جلاله؟!

حاش لله، وكلا. وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

ثانيا: تساؤلات حول القضاء والقدر

﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ (الحجر: ٢١)

- يعتبر سؤال:

هل الإنسان مسير أم مخير؟ من الأسئلة التى تصاحب ضعف النفوس البشرية،

وبعدها عن منهج الإيمان ومنبع الأنوار.

ويعالج الإمام النورسى تلك القضية الحيوية التى تحير البشرية بقوله[1]:

إن القدر والجزء الاختيارى جزءان من إيمان حالى ووجدانى، يبين نهاية حدود الإيمان والإسلام، وليسا مباحث علمية ونظرية.

أى: أن المؤمن يعطى لله كل شىء، ويحيل إليه كل أمر، وما يزال هكذا حتى يحيل فعله ونفسه إليه. ولكى لا ينجو فى النهاية من التكليف والمسؤولية، يبرز أمامه الجزء الاختيارى، قائلا له: "أنت مسؤول، أنت مكلف"!

ثم أنه لكى لا يغتر بما صدر عنه من حسنات وفضائل، يواجهه القدر، قائلا له: "اعرف حدك، فلست أنت الفاعل".

أجل! إن القدر والجزء الاختيارى هما فى أعلى مراتب الإيمان والإسلام، قد دخلا ضمن المسائل الإيمانية، لأنهما ينقذان النفس الإنسانية.. فالقدر ينقذها من الغرور، والجزء الاختيارى ينجيها من الشعور بعدم المسؤولية. وليسا من المسائل العلمية والنظرية، التى تفضى إلى ما يناقض سر القدر وحكمة الجزء الاختيارى كليا، بالتشبث بالقدر، للتبرئة من مسؤولية السيئات، التى اقترفتها النفوس الأمارة بالسوء، والافتخار بالفضائل التى أنعمت عليه، والاغترار بها، وإسنادها إلى الجزء الاختيارى.

بمعنى أن مسألة القدر ليست للفرار من التكليف والمسؤولية، بل هو لإنقاذ الإنسان من الفخر والغرور، ولهذا دخلت ضمن مسائل الإيمان.

أما الجزء الاختيارى، فقد دخل ضمن مباحث العقيدة، ليكون مرجعا للسيئات، لا ليكون مصدرا للمحاسن والفضائل، التى تسوق إلى الطغيان والتفرعن.

نعم! إن القرآن الكريم يبين أن الإنسان مسؤول عن سيئاته مسؤولية كاملة. لأن الإنسان هو الذى أراد السيئات. ولما كانت السيئات من قبيل التخريبات، لذا يستطيع الإنسان أن يوقع دمارا هائلا، بسيئة واحدة، كإحراق بيت كامل بعود

(١) ص ٥٤١ : ٥٤٤ من الكلمات.

ثقاب، وبذلك يستحق إنزال عقاب عظيم به.

أما فى الحسنات: فليس له الحق فى الفخر والمباهاة، لأن حصته فيها ضئيلة جدا، لأن الرحمة الإلهية هى التى أرادت الحسنات، واقتضتها. والقدرة الربانية هى التى أوجدتها، فالسؤال والجواب والسبب والداعى، كلاهما من الحق سبحانه وتعالى. ولا يكون الإنسان مالكا لهذه الحسنات، وصاحبا لها إلا بالدعاء والتضرع، وبالإيمان، وبالشعور بالرضى عنها. بينما الذى أراد السيئات هو النفس الإنسانية، إما بالاستعداد أو بالاختيار، مثلما تكتسب بعض المواد التعفن والاسوداد، من ضياء الشمس الجميل اللامع، فذلك الاسوداد إنما يعود إلى استعداد تلك المادة، أى أن التسبب والسؤال هما من النفس الإنسانية بحيث تتحمل المسؤولية عنها. أما الخلق والإيجاد الخاص به سبحانه وتعالى فهو جميل، لأن له ثمرات أخرى جميلة، ونتائج شتى جميلة، فهو خير.

ومن هذا السر يكون خلق الشر ليس شرا، وإنما كسب الشر شر، إذ لا يحق لكسلان قد تأذى من المطر – المتضمن لمصالح غزيرة – أن يقول: المطر ليس رحمة.

وكما أن القدر الإلهى منزه عن القبح والظلم، من حيث النتيجة والثمرات، كذلك فهو مقدس عن القبح والظلم، من حيث العلة والسبب، لأن القدر الإلهى ينظر إلى العلل الحقيقية، فيعدل. بينما الناس يبنون أحكامهم على ما يشاهدونه من علل ظاهرة، فيرتكبون ظلما ضمن عدالة القدر نفسه.

فمثلا: هب أن حاكما قد حكم عليك بالسجن بتهمة السرقة، وأنت برئ منها، ولكن لك قضية قتل مستورة لا يعرفها إلا الله.

فالقدر الإلهى قد حكم عليك بذلك السجن، وقد عدل من أجل ذلك القتل المستور عن الناس. أما الحاكم فقد ظلمك، حيث حكم عليك بالسجن بتهمة السرقة، وأنت منها برئ.

وهكذا ففى الشيء الواحد تظهر جهتان: جهة عدالة القدر والإيجاد الإلهى، وجهة ظلم البشر وكسبه.. قس بقية الأمور على هذا.

أى أن القدر والإيجاد الإلهى منزهان عن الشر والقبح والظلم، باعتبار المبدأ

والمنتهى والأصول والفروع والعلل والنتائج.

- **وإذا قيل:**

ما دام الجزء الاختيارى لا قابلية له فى الإيجاد، ولا يوجد فى يد الإنسان غير الكسب، الذى هو فى حكم أمر اعتبارى، فكيف يكون إذن شكوى القرآن المعجز البيان، من هذا الإنسان، شكاوى عظيمة، تجاه عصيانه خالق السموات والأرض؛ حتى كأنه أعطى له وضع العدو العاصى، بل يرسل سبحانه جنوده الملائكة، لإمداد العبد المؤمن، تجاه ذلك العاصى، بل يمده خالق السموات والأرض بنفسه.. فلم هذه الأهمية البالغة؟

الجواب: لأن الكفر والعصيان والسيئة كلها تخريب وعدم، ويمكن أن تترتب تخريبات هائلة وعدمات غير محدودة، على أمر اعتبارى وعدمى واحد. إذ كما أن عدم إيفاء ملاح سفينة ضخمة بوظيفته يغرق السفينة، ويفسد نتائج أعمال جميع العاملين فيها، كذلك الكفر والمعصية، لكونهما نوعا من العدم والتخريب، فيمكن أن يحركهما الجزء الاختيارى بأمر اعتبارى، فيسببان نتائج مريعة. لأن الكفر وإن كان سيئة واحدة؛ إلا أنه تحقير لجميع الكائنات بوصمها بالتفاهة والعبثية، وتكذيب لجميع الموجودات الدالة على الوحدانية، وتزييف لجميع الأسماء الحسنى. فإن تهديده سبحانه وتعالى، وشكواه باسم الكائنات قاطبة، والموجودات كافة، والأسماء الإلهية الحسنى؛ كلها من الكافر شكاوى عنيفة وتهديدات مريعة، هو عين الحكمة، وأن تعذيبه بعذاب خالد هو عين العدالة.

وحيث أن الإنسان لدى انحيازه إلى جانب التخريب بالكفر والعصيان، يسبب دمارا رهيبا بعمل جزئى، فإن أهل الإيمان محتاجون إذن، تجاه هؤلاء المخربين، إلى عناية إلهية عظيمة، لأنه إذا تعهد عشرة من الرجال الأقوياء، بالحفاظ على بيت وتعميره، فإن طفلا شريرا فى محاولته إحراق البيت، يلجئ أولئك الرجال إلى الذهاب إلى وليه بل التوسل إلى السلطان.

لذا فالمؤمنون محتاجون أشد الحاجة، إلى عنايته سبحانه وتعالى، للصمود تجاه هؤلاء العصاة الفاجرين.

نحصل مما سبق: ان الذى يتحدث عن القدر والجزء الاختيارى، إن كان ذا إيمان كامل، مطمئن القلب، فإنه يفوض أمر الكائنات كلها، ونفسه كذلك، إلى الله سبحانه وتعالى، ويعتقد بأن الأمور تجرى تحت تصرفه سبحانه وتدبيره. فهذا الشخص يحق له الكلام فى القدر والجزء الاختيارى، لأنه يعرف أن نفسه وكل شيء، منه سبحانه وتعالى. فيتحمل المسؤولية، مستندا إلى الجزء الاختيارى، الذى يعتبره مرجعا للسيئات، فيقدس ربه وينزهه، ويظل فى دائرة العبودية، ويرضخ للتكليف الإلهى، ويأخذه على عاتقه. وينظر إلى القدر فى الحسنات والفضائل الصادرة عنه، لئلا يأخذه الغرور، فيشكر ربه بدل الفخر، ويرى القدر فى المصائب التى تنزل به فيصبر.

ولكن إن كان الذى يتحدث فى القدر الإلهى، والجزء الاختيارى، من أهل الغفلة، فلا يحق له الخوض فيهما، لأن نفسه الأمارة بالسوء – بدافع من الغفلة أو الضلالة – تحيل الكائنات إلى الأسباب، فتجعل ما لله إليها، وترى نفسها مالكة لنفسها، وترجع أفعالها إلى نفسها، وتسندها إلى الأسباب، بينما تحمل القدر المسؤولية والتقصيرات. وحينئذ يكون الخوض فى القدر والجزء الاختيارى بلطلا، لا أساس له – بهذا المفهوم – ولا يعنى سوى دسيسة نفسية، تحاول التملص من المسؤولية، مما ينافى حكمة القدر وسر الجزء الاختيارى.

وهناك أسئلة أخرى يمكن أن ندرجها تحت تساؤلات الناس حول القضاء والقدر منها:

• سؤال: (1)

نسمع من كثير من الكسالى المتقاعسين عن العبادات، ومن تاركى الصلاة بخاصة، أنهم يقولون:

ما حاجة الرب سبحانه وتعالى – الغنى بذاته – إلى عبادتنا حتى يزجرنا فى محكم كتابه الكريم، ويتوعدنا بأشد العذاب فى نار جهنم، فكيف هذا الأسلوب –

(1) ص ٢٩٠ : ٢٩٢ من اللمعات.

التهديدى الصاعق، فى مثل هذا الخطأ الجزئى التافه – مع أسلوبه الإعجازى اللين الهادئ الرقيق فى المواضع الأخرى؟

الجواب: حقا الله سبحانه وتعالى – الغنى بذاته – لا حاجة له قط إلى عبادتك أنت –أيها الإنسان– بل هو سبحانه لا حاجة له لشيء قط، ولكنك أنت المحتاج إلى العبادة، وأنت المفتقر إليها.

فأنت مريض معنى، والعبادة هى البلسم الشافى لجراحات روحك، وأوجاع ذاتك، وقد أثبتنا هذا الكلام فى عديد من الرسائل.

ترى لو خاطب مريض طبيبا رحيما، يشفق عليه ويصر عليه، ليتناول دواء شافيا يخص مرضه.. لو خاطبه تجاه إصراره عليه قائلا: ما حاجتك أنت إلى هذا الدواء، حتى تلح على هذا الإلحاح الشديد، بتناول الدواء؟ ألا يفهم من كلامه مدى تفاهته وسخفه وغباء منطقه؟

أما نذير القرآن الكريم، فيما يخص ترك العبادة، وتهديده المخيف بعقاب أليم، فإليك تفسيره:

فكما أن سلطانا يعاقب شخصا سافلا، يرتكب جريمة تمس حقوق الآخرين، بعقاب صارم، لأجل الحفاظ على حقوق رعاياه، كذلك سلطان الأزل والأبد، يعاقب تارك العبادة والصلاة عقابا صارما، لأنه يتجاوز تجاوزا صارخا، على حقوق الموجودات، ويظلمها ظلما معنويا بشعا، ويهضم حقوقها هضما مجحفا، تلك الموجودات التى هى رعاياه وخلقه. وذلك لأن كمالاتها تتظاهر على صورة تسبيح وعبادة فى وجهها المتوجه إلى البارئ الحكيم سبحانه. فتارك العبادة لا يرى عبادة الموجودات ولن يراها، بل ينكرها، وفى هذا بخس عظيم لقيمة الموجودات، التى كل منها مكتوب سام صمدانى، قد خط بآيات العبادة والتسبيح، وهو متوجه بآياته وتسبيحه، نحو الموجد الخالق جل وعلا.. وكل منها – أيضا – مرآة لتجلى الأسماء الربانية المشعة بالأنوار.. فيترل هذه الموجودات – بهذا الإنكار – من مقامها الرفيع السامى، ولا يرى فى وجودها سوى العبث الخالى من المعنى، ويجردها من وظائفها الخلقية، ويظنها شيئا خامدا ضائعا لا أهمية له، فيكون بذلك قد استهان بالموجودات

واستخف بها، وأهان كرامتها وأنكر كمالاتها، وتعدى على مصداقية وجودها.

إن الذى يؤدى العبادة والأذكار بصورة جادة، وبشعور تام، وبتفكر وتـأمل، فإنه يكشف شيئا من عبادة الموجودات وتسابيحها، بل قد يراهـا وهـى حقيقـة موجودة ثابتة، أما الذى يترك العبادة غافلا أو منكرا لها، فإنه يتوهـم الموجـودات توهما خاطئا جدا، ومنافيا ومخالفا مخالفة تامة لحقيقة كمالاتها، فيكون متعديـا علـى حقوقها معنى.

نحصل مما تقدم:

أن تارك العبادة مثلما أنه يظلم نفسه، والنفس مملوك الحق سبحانه وعبـده، فهو يتعدى على حقوق كمالات الكائنات، ويظلمها أيضا. نعم، فكما أن الكفـر استهانة بالموجودات واستخفاف بها، فترك العبادة إنكار لكمالات الكائنات، وتجاوز على الحكمة الإلهية، لذا يستحق تاركها تهديدا عنيفا وعقابا صارما.

ومن هنا يختار القرآن الكريم أسلوب التهديد والإنذار، ليعـبر عـن هـذا الاستحقاق، وعن هذه الحقيقة المذكورة آنفا، فيكون الأسلوب حقا ومطابقا تامـا لمقتضى الحال، الذى هو البلاغة بعينها.

♦ سؤال: (١)

ما الحكمة فى إخراج سيدنا آدم عليه السلام من الجنة؟ وما الحكمة فى إدخال قسـم من بنى آدم جهنم؟

الجواب: حكمته: التوظيف.. فقد بعث إلى الأرض موظفا، موكولا إليـه مهمة جليلة، بحيث ان نتائج تلك الوظيفة هى جميع أنواع الرقى المعنوى البشـرى، وانكشاف جميع استعدادات البشر ونمائها، وصيرورة الماهية الإنسانية، مرآة جامعـة للأسماء الإلهية الحسنى كلها.

فلو كان سيدنا آدم عليه السلام باقيا فى الجنة، لبقى مقامه ثابتا كمقام الملك، ولمـا نمت الاستعدادات البشرية. بينما الملائكة الذين هم ذوو مقام ثابت مطرد كثـيرون،

(١) ص ٥٠ : ٥١ من المكتوبات

فلا داعى إلى الإنسان للقيام بذلك النوع من العبودية. فاقتضت الحكمة الإلهية وجود دار تكليف، تلائم استعدادات الإنسان، التى تتمكن من قطع مقامات لا نهاية لها. ولذلك أخرج ﷺ من الجنة بالخطيئة المعروفة، التى هى مقتضى فطرة البشر، خلاف الملائكة.

أى ان إخراج آدم ﷺ من الجنة، هو عين الحكمة ومحض الرحمة. كما ان إدخال الكفار جهنم حق وعدالة، مثلما جاء فى السؤال السابق: أن الكافر وإن عمل ذنبا فى عمر قصير، إلا أن ذلك الذنب ينطوى على جناية لا نهاية لها؛ ذلك لأن الكفر تحقير للكائنات جميعا وتهوين من شأنها.. وتكذيب لشهادة المصنوعات كلها للوحدانية.. وتزييف للأسماء الحسنى المشهودة جلواتها فى مرايا الموجودات.. ولهذا يلقى القهار الجليل، سلطان الموجودات، الكفار فى جهنم ليخلدوا فيها، أخذا لحقوق الموجودات كلها منهم.

وإلقاؤهم فى جهنم أبدا هو عين الحق والعدالة، لأن جناية بلا نهاية، تقتضى عذابا بلا نهاية.

- سؤال: (١)

ان الله سبحانه وتعالى ينزل المصائب ويسلط البلايا، ألا يكون هذا ظلما على الأبرياء، بل حتى على الحيوانات؟

الجواب: حاش لله وكلا.. فإن الملك ملكه وحده، وله أن يتصرف فيه كيف يشاء. ترى لو أن صناعا ماهرا جعلك نموذجا "موديلا" مقابل أجرة، وألبسك ثوبا زاهيا، خاطه بأفضل ما يكون، ثم بدأ يقصره ويطوله ويقصه.. ثم يقعدك وينهضك ويثنيك.. كل ذلك لكى يبين حذاقته ومهارته، فهل لك أن تقول له: لقد شوهت جمال ثوبى الذى زادنى جمالا، وقد أرهقتنى لكثرة ما تقول لى: اجلس.. انهض! فلا ريب أنك لا تقدر على هذا القول. بل لو قلته، فهو دليل الجنون ليس إلا.

---

(١) ص ٥٣ ، ٥٤ من المكتوبات.. ويراجع كذلك ص ١٤٦ من الملاحق.

وعلى غرار هذا فان الصانع الجليل قد ألبسك جسما بديعا، مزينـــا بـــالعين والأذن والأنف وغيرها من الأعضاء والحواس. ولأجل إظهار آثار أسمائــه الحســـنى المتنوعة، يبتليك بأنواع من البلايا، فيمرضك حينا، ويمتعك بالصحة أحيانا أخـــرى، ويجيعك مرة، ويشبعك تارة، ويظمئك أخرى. وهكذا يقلبك فى أمثال هذه الأطـــوار والأحوال، لتتقوى ماهية الحياة وتظهر جلوات أسمائه الحسنى.

فإن قلت: لماذا تبليني بهذه المصائب؟ فإن مائة من الحكم الجليلـــة تســـكتك، كما أشير إليها فى المثال السابق. إذ من المعلوم أن الســـــكون والهـــدوء والرتابـــة والعطالة، نوع من العدم والضرر، وبعكسه الحركة والتبدل، وجود وخير. فالحيـــاة تتكامل بالحركة، وتترقى بالبلايا، وتنال حركات مختلفة، بتجليات الأسماء وتتصفـــى وتتقوى، وتنمو وتتسع، حتى تكون قلما متحركا، لكتابة مقدراتها، وتفى بوظائفـــها، وتستحق الأجر الأخروى.

ثالثا: تساؤلات حول الموت والروح واليوم الآخر

﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ (العنكبوت، ٦٤)

سيظل دوما وأبدا، تلك الموضوعات العقيدية، من القضايا الهامة، التى تشـــغل العقول وتحرم القلوب من درجة اليقين المطلوبة من المؤمنين..

ولذلك فقد أولى الإمام النورسى -رضي الله عنه- تلك القضايا الاهتمام اللائق بهـــا، ليأخذ بيد السالكين فى مدارج اليقين، إلى نور رب العالمين.

وسنحاول بقدر الجهد: اختيار بعض التساؤلات، التى تدور فى هذا المضمـــار، بحيث تكون زادا للقلوب ونورا للعقول، تهدى المؤمنين إلى سواء السبيل.

◆ سؤال: (١)

إن الآية الكريمة: وأمثالها فى القرآن الحكيم، تعد الموت مخلوقا كالحياة، وتعتـــبره نعمة إلهية. ولكن الملاحظ أن الموت انحلال وعدم وتفسخ، وانطفاء لنور الحيـــاة،

(١) ص ٨ من المكتوبات.

وهادم اللذات.. فكيف يكون "مخلوقا" وكيف يكون "نعمة"؟

الجواب: إن الموت فى حقيقته تسريح وإنهاء لوظيفة الحياة الدنيا، وهو تبديل مكان وتحويل وجود، وهو دعوة إلى الحياة الباقية الخالدة ومقدمة لها؛ إذ كما أن مجيء الحياة إلى الدنيا هو بخلق وبتقدير إلهى، كذلك ذهابها من الدنيا، هو أيضا بخلق وتقدير وحكمة وتدبير إلهى؛ لأن موت أبسط الأحياء – وهو النبات – يظهر لنا نظاما دقيقا، وإبداعا للخلق، ما هو أعظم من الحياة نفسها، وأنظم منها، فموت الأثمار والبذور والحبوب، الذى يبدو ظاهرا تفسخا وتحللا، هو فى الحقيقة عبارة عن عجن لتفاعلات كيمياوية متسلسلة فى غاية الانتظام، وامتزاج لمقادير العناصر فى غاية الدقة والميزان، وتركيب وتشكل للذرات بعضها ببعض، فى غاية الحكمة والبصيرة، بحيث أن هذا الموت الذى لا يرى، وفيه هذا النظام الحكيم والدقة الرائعة، هو الذى يظهر بشكل حياة نامية للسنبل، وللنبات الباسق المثمر. وهذا يعنى أن موت البذرة هو مبدأ حياة النبات الجديدة، أزهارا وأثمارا.. بل هو بمثابة عين حياته الجديدة؛ فهذا الموت إذن مخلوق منتظم كالحياة..

وكذلك فإن ما يحدث فى معدة الإنسان من موت لثمرات حية، أو غذاء حيوانى، هو فى حقيقته بداية ومنشأ لصعود ذلك الغذاء فى أجزاء الحياة الإنسانية الراقية. فذلك الموت إذن مخلوق أكثر انتظاما من حياة تلك الأغذية.

فلئن كان موت النبات – وهو فى أدنى طبقات الحياة – مخلوقا منتظما بحكمة، فكيف بالموت الذى يصيب الإنسان، وهو فى أرقى طبقات الحياة؟ فلا شك أن موته هذا سيثمر حياة دائمة فى عالم البرزخ، تماما كالبذرة الموضوعة تحت التراب، والتى تصبح بموتها نباتا رائعا فى الجمال والحكمة فى (عالم الهواء).

أما كيف يكون الموت نعمة؟

الجواب: سنذكر أربعة وجوه فقط من أوجه النعمة والامتنان الكثيرة للموت.

أولها: الموت إنقاذ للإنسان من أعباء وظائف الحياة الدنيا، ومن تكاليف المعيشة المثقلة. وهو باب وصال فى الوقت نفسه، مع تسعة وتسعين من الأحبة

الأعزاء فى عالم البرزخ، فهو إذن نعمة عظمى.

ثانيها: أنه خروج من قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق المضطرب، ودخول فى رعاية المحبوب الباقى، وفى كنف رحمته الواسعة، وهو تنعم بحياة فسيحة خالدة مستنيرة، لا يزعجها خوف، ولا يكدرها حزن ولا هم.

ثالثها: إن الشيخوخة وأمثالها، من الأسباب الداعية لجعل الحياة صعبة ومرهقة، تبين مدى كون الموت نعمة تفوق نعمة الحياة. فلو تصورت أن أجدادك، مع ما هم عليه من أحوال مؤلمة، قابعون أمامك حاليا مع والديك اللذين بلغا أرذل العمر، لفهمت مدى كون الحياة نقمة، والموت نعمة. بل يمكن إدراك مدى الرحمة فى الموت، ومدى الصعوبة فى إدامة الحياة أيضا، بالتأمل فى تلك الحشرات الجميلة العاشقة للأزاهير اللطيفة، عند اشتداد وطأة البرد القارس فى الشتاء عليها.

رابعها: كما أن النوم راحة للإنسان ورحمة، ولاسيما للمبتلين والمرضى والجرحى، كذلك الموت - الذى هو أخو النوم - رحمة ونعمة عظمى للمبتلين ببلايا يائسة، قد تدفعهم إلى الانتحار.

أما أهل الضلال، فالموت لهم كالحياة، نقمة عظمى، وعذاب فى عذاب، كما أثبتنا ذلك فى مواضع كثيرة من رسائل النور.

◆ سؤال: (١)

ما الداعى لقول الإمام الغزالى: إن النشأة الأولى مخالفة تماما للنشأة الأخرى؟

الجواب: إن قول حجة الإسلام الإمام الغزالى: من أن النشأة الأولى مخالفة تماما للنشأة الأخرى، هى مخالفة باعتبار الكيفية والصورة. وليست باعتبار الماهية والجنسية، لأنها تكون معارضة لصراحة آيات كريمة كثيرة، مثل: ﴿يحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾ (الروم، ١٩) و ﴿وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده﴾ (الروم، ٢٧) ثم أنه إشارة إلى أن الأمور الأخروية، من حيث المرتبة، رفيعة جدا.. ثم أنه إشارة للغزالى إلى وقوع الحشر الجسمانى، مع الحشر.

(١) ص ٦٣ ، ٦٤ من الملاحق.

الروحاني أيضا، تقليدا ومسايرة لبعض الباطنية.

♦ سؤال:

إن سعد التفتازاني[1] بعد تقسيمه الروح إلى قسمين.. أحدهما: روح إنسانية، والأخرى: روح حيوانية، يقول: "إن المعرضة للموت هي الروح الحيوانية وحدها. أما الإنسانية فليست مخلوقة، وليست بينها وبين الله نسبة ولا سبب. فقد استقلت بذاتها وليست قائمة بالجسد". ما سبب قوله هذا وما إيضاحه؟

الجواب: إن قول سعد التفتازاني "الروح الإنسانية ليست مخلوقة": يعني أن ماهية الروح قانون أمري ذي حياة، ومرآة ذات شعور لاسم الله الحي، وجلوة ذات جوهر، من تجليات الحياة السرمدية، وذلك مضمون قوله تعالى : ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ (الإسراء: ٨٥) لذا فهي مجهولة. ومن هذه الجهة لا يقال إنها مخلوقة. وقد قال السعد في المقاصد، وفي شرح المقاصد، موافقا لجميع علماء الإسلام المحققين ومنسجما مع نصوص الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة: "إن قانون الأمر ذاك قد ألبس وجودا خارجيا، فهي مخلوقة وحادثة كسائر المخلوقات" وجميع آثاره شاهدة على عدم قوله بأزلية الروح.

أما قوله: "ليست بينها وبين الله نسبة" فهو إشارة إلى رد مذهب باطل، كالحلول. فروح الحيوانات كذلك باقية، وتفنى أجسامها وحدها في القيامة. بينما الموت ليس فناء بل انقطاع العلاقة.

أما قوله: "ولا سبب" فإشارة إلى خلق الروح مباشرة، دون توسط الأسباب، كما جاء في مناجاة عزرائيل عليه السلام في قبض الأرواح.

---

(١) هو مسعود بن عمر بن عبد الله، ولد بتفتازان بخراسان في ٧١٢ (أو ٧٢٧ هـ) وتوفي في سمرقند ٧٩٣ هـ.. إمام في العربية والمنطق والفقه، سعى لإحياء العلوم الإسلامية بعد كسوفها بغزو المغول فألف كثيرا من أمهات الكتب. حتى أنه يعد الحد الفاصل بين العلماء المتأخرين والمتقدمين. من كتبه (تهذيب المنطق) و (شرح المقاصد) و (شرح العقائد النسفية) و (المطول).. وكتابه (التلويح في كشف حقائق التنقيح) في الأصول شرح فيه كتاب (التوضيح في حل غوامض التنقيح) للعلامة عبيد الله ابن مسعود المحبوبي (ت ٧٤٧ هـ). – المترجم (الأستاذ إحسان قاسم).

أما قوله: "استقلت بذاتها" فإن الجسد يستند إلى الروح فيبقى قائما، بينما الروح قائمة بذاتها – كما ذكر فى إثبات بقاء الروح – فإذا ما دمر الجسد تكون الروح حرة أكثر، وتحلق إلى السماء كالملاك، وهو إشارة إلى رد مذهب باطل.

• وفى سؤال:

حول رأى الإمام فى اشتغال البعض بتحضير الأرواح[1]:

أجاب إمامنا الجليل:

لما كانت هذه المسألة – تحضير الأرواح والتنبؤ بالغيب – آتية من الأجانب ونابعة من الفلسفة فقد تؤدى إلى أضرار جسيمة بالمؤمنين، حيث يمكن استعمالها استعمالا سيئا، إذ لو كان فيها صدق واحد ففيها عشرة أكاذيب. ولا محك ولا مقياس لتمييز الصدق عن الكذب. وبهذه الوسيلة يلحق الجن – الذين يعينون الأرواح الخبيثة – الضرر، بقلب المنشغل بها، وبالإسلام أيضا، ذلك لأنها إخبارات تنافى حقائق الإسلام، وتعارض عقائده العامة، مع أنها تزاول باسم أمور روحية معنوية، حيث يوحون بأنهم أرواح طيبة مع أنهم أرواح خبيثة، بل أنهم يسعون للإخلال بالأسس الإسلامية، أو يتفوهون بكلمات مقلدين أسماء أولياء عظام، وبهذا يستطيعون تغيير الحقيقة، والتمويه على السذج، الذين يكونون ضحية خداعاتهم..

فلو قالت جلوة الشمس، التى تشاهد فى قطعة زجاج صغيرة – متكلمة باسمها – أن ضيائى يستولى على الدنيا، وحرارتى تحمى كل شىء وأنا أكبر بمليون مرة من الكرة الأرضية. كم يكون كلامها خلافا للحقيقة!

فالنبى الذى فى مقامه الحقيقى الرفيع، كالشمس الساطعة، لا يمكن أن تتكلم جلوته باسمه، لدى تحضير الأرواح أو التنبؤ بالمستقبل. ولو تكلمت باسم النبى، لكان كلامها مخالفا كليا، بمئات الأضعاف. فلا يمكن قياس ظهور جلوة جزئية لدى تحضير الأرواح، أو التنبؤ بالمستقبل أصلا وقطعا، بالماهية السامية الرفيعة لصاحب الوحى، الذى هو كالشمس المعنوية، لذا لا يمكن جلب تلك الحقيقة العظمى قطعا، بل إن

---

(١) ص ٣٨٨ : ٣٩٠ من الملاحق.

جلبها سوء أدب وإهانة، وعدم احترام ليس إلا، وإنما يمكن الرقى بالسير والسلوك للتقرب من ذلك المقام الرفيع، فيحظى بالمحاورة والمجالسة مع تلك الشمس الحقيقية، كما حدث لجلال الدين السيوطى وأولياء آخرون. مع العلم أن هذا الرقى هو مجالسة ومحاورة مع ولايته صلى الله عليه وسلم ولا يكون هذا إلا حسب قابلياقم، ووفق استعداداقم الذاتية.. ولكن حقيقة النبوة لكونها أرفع وأسمى، وأعلى بكثير من الولاية، فان المحاورة التى تنال بالرقى الروحى أو بوساطة تحضير الأرواح والتلقى منها، لا تبلغ حقيقة المحاورة، والتلقى من النبى صلى الله عليه وسلم تلقيا حقيقيا، بأى جهة كانت، ولا يكون محورا للأحكام الشرعية قطعا.

إن تحضير الأرواح المتأتى من الإيغال فى دقائق الفلسفة، وليس من الدين، حركة تخالف الحقيقة وتنافى الأدب اللائق والاحترام الواجب. لأن جلب أرواح من هم فى أعلى عليين، وفى المقامات السامية المقدسة، إلى مائدة تحضير الأرواح، موضع الأكاذيب واللعب واللهو، فى أسفل سافلين، إنما هو إهانة عظيمة، وعدم توقير محض، وسوء أدب.

بل الحقيقة عينها، والأدب المحض، والاحترام اللائق، هو أن يحصل ما حصل للأفذاذ من أمثال جلال الدين السيوطى، وجلال الدين الرومى، والإمام الربانى، بالسمو الروحانى – بالسير والسلوك – إلى مرتبة القربية، لأولئك الأشخاص السامين، والاستفاضة منهم.

إن الشيطان والأرواح الخبيثة، لا تتمثل فى الرؤى الصادقة، بينما فى تحضير الأرواح، يمكن أن تتكلم الأرواح الخبيثة، باسم نبى من الأنبياء، مقلدا له، خلافا للأحكام الشرعية، والسنة النبوية الشريفة.. فإن كان هذا التكلم مخالفا للأحكام الشرعية والسنة النبوية، فهو دليل قاطع على ان المتكلم ليس هو من الأرواح الطيبة، وليس حنيفا مسلما ومؤمنا، بل هو من الأرواح الخبيثة، يقلد على هذه الصورة.

- **سؤال: أين جهنم؟** [1]

الجواب: لا يعلم الغيب إلا الله، قال تعالى: ﴿قل إنما العلم عند الله﴾ (الملك: ٢٦) وقد جاء فى بعض الروايات: أن جهنم تحت الأرض. فالكرة الأرضية بحركتها السنوية، تخط دائرة حول ميدان سيكون محشرا فى المستقبل.

إن ما اشتهر هو "أن جهنم تحت الأرض"، ونحن معاشر أهل السنة والجماعة، لا نعين موضعها على القطع واليقين، ولكن "التحتية" هى الظاهرة[2].

وبناء على هذا أقول وبالله التوفيق:

أولا: إن كرتنا الأرضية ثمرة من ثمرات شجرة العالم العظيمة، عظمة شجرة طوبى، كما أثمرت سائر نجومها. فما تحت الثمرة، يشمل تحت جميع أغصان تلك الشجرة. وبناء على هذا فـ "جهنم" تحت الأرض بين تلك الأغصان، فملك الله تعالى واسع، وشجرة الخليقة منتشرة، أينما كانت جهنم فلها موضع بينها، ولا تقتضى مسافة التحتية طولا، ولا اتصالا بالأرض.

وفى نظر الحكمة الجديدة: أن النار مستولية على أكثر ما فى الكون، وهذا يشف عن: أن أصل هذه النار وأساسها جهنم، ترافق الإنسان إلى الخلود، وفى طريقه إلى الأبد، وستمزق يوما ما الستار، وتبرز إلى الميدان قائلة: تهيأوا!

وأود أن ألفت نظركم إلى هذه النقطة الثانية:

ثانيا: إن تحت الكرة وأسفلها هو مركزها وجوفها، فعلى هذا فإن الأرض حبلى ببذرة شجرة زقوم جهنم، ستلدها يوما ما. بل الأرض الطائرة فى الفضاء،

---

(١) ص ٩ : ١٢ من المكتوبات ، ص ٨٣ ، ٨٤ من صيقل الإسلام.

(٢) عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: اشتكت النار إلى ربها، فقالت: "يارب! أكل بعضى بعضا، فجعل لها نفسين. نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف. فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها، وشدة ما تجدون من الحر من سمومها" رواه البخارى – كتاب الإيمان، ابن ماجه ٤٣١٩ والترمذى ٢٥٩٢.

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم" رواه أحمد ١٦٤/٢٤ (الفتح الربانى) واورده الهيثمى فى المجمع ٣٨٧/١ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

ستبيض شيئا كهذا، حتى ان لم تكن جهنم بتمامها فى تلك البيضة، فإن رأسها أو أى عضو منها مطوية فيها، بحيث تتحد مع الدركات، وسائر الأعضاء منها يوم القيامة، وتبرز على أهل العصيان جهنم مهولا عجيبا.

فيا هذا! الحساب والهندسة يمكنهما أن يأخذاك إلى موضع جهنم، وإن لم تذهب أنت إليها. وذلك:

أن درجة الحرارة تتزايد درجة واحدة تقريبا فى الأرض، بكل ثلاثة وثلاثين مترا فى باطن الأرض، بمعنى أن درجة الحرارة تكون فى المركز، ما يقرب من مئتى ألف درجة – فى الأغلب – فنسبة هذه النار المركزية، إلى درجة حرارتنا البالغة ألف درجة، هى مئتا مرة. وهذه تثبت نفس ما ورد فى الحديث المشهور – ما معناه – من أن نار جهنم أشد من نارنا بمئتى مرة.

ثم إن قسما من جهنم "زمهرير"، والزمهرير يحرق ببرودته. إذ قد ثبت فى العلم الطبيعى؛ أن الحرارة تصل إلى درجة تجعل الماء ثلجا، وتحرق بالبرودة، حيث تمص الحرارة مصا. أى أن النار التى تشمل جميع المراتب، قسم منها "زمهرير".

♦ سؤال:

ما علاقة الجسمانية (المادية) القاصرة، الناقصة المتغيرة، القلقة المؤلمة، بالأبدية والجنة؟ فما دامت الروح تكتفى بلذائذها العلوية فى الجنة، فلم يلزم حشر جسمانى، للتلذذ بلذائذ جسمانية[1]؟

الجواب: على الرغم من كثافة التراب وظلمته، نسبة إلى الماء والهواء والضياء، فهو منشأ لجميع أنواع المصنوعات الإلهية، لذا يسمو ويرتفع معنى فوق سائر العناصر.. وكذا النفس الإنسانية على الرغم من كثافتها، فإنها ترتفع وتسمو على جميع اللطائف الإنسانية بجامعيتها، بشرط تزكيتها.

فالجسمانية كذلك هى أجمع مرآة لتجليات الأسماء الإلهية، وأكثرها إحاطة وأغناها.. فالآلات التى لها القدرة على وزن جميع مدخرات خزائن الرحمة الإلهية

---

(١) ص ٥٨٥ ، ٥٨٦ من الكلمات.

وتقديرها، إنما هى فى الجسمانية، إذ لو لم تكن حاسة الذوق التى فى اللسان مثـــلا، حاوية على آلات لتذوق الرزق، بعدد أنواع المطعومات كلها، لما كانت تحس بكل منها، وتتعرف على الاختلاف فيما بينها، ولما كانت تستطيع أن تحس وتميز، بعضها عن بعض.

وكذا فإن أجهزة معرفة أغلب الأسماء الإلهية المتجلية، والشعور بها وتذوقـــها وإدراكها، إنما هى فى الجسمانية.

وكذا فإن الاستعدادات والقابليات القادرة على الشعور والإحساس بلذائـذ، لا منتهى لها، وبأنواع لا حدود لها، إنما هى فى الجسمانية.

يفهم من هذا فهما – كما أثبتناه فى الكلمة الحادية عشرة – أن صانع هـــذه الكائنات، قد أراد أن يعرف بهذه الكائنات جميع خزائن رحمته، ويعلم بهـــا جميـــع تجليات أسمائه الحسنى، ويذيق بها جميع أنواع نعمه وآلائه، وذلك من خلال مجـــرى حوادث هذه الكائنات، وأنماط التصرف فيها، ومن خلال جامعيـــة اســتعدادات الإنسان.. فلابد إذن من حوض عظيم، يصب فيه سيل الكائنات العظيـــم هـــذا.. ولابد من معرض عظيم، يعرض فيه ما صنع فى مصنع الكائنات هذا.. ولابـــد مـــن مخزن أبدى، تخزن فيه محاصيل مزرعة الدنيا هذه.. أى لابد من دار سعادة، تشـــبه هذه الكائنات إلى حد ما، وتحافظ على جميع أسسها الجسمانية والروحانية.. ولابـــد أن ذلك الصانع الحكيم، والعادل الرحيم، قد خص لذائـــذ تليـــق بتلـــك الآلات الجسمانية أجرة لوظائفها، ومثوبة لخدماتها، وأجرا لعباداتهـــا الخاصـــة. وإلا – أى بخلاف هذا – تحصل حالة منافية تماما، لحكمته سبحانه وعدالتـــه ورحمتـــه، ممـــا لا ينسجم ولا يليق بجمال رحمته، وكمال عدالته مطلقا. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

♦ سؤال: (1)

إن أجزاء الكائن الحى فى تركيب وتحلل دائمين، وهى معرضة للانقـــراض، ولا تنال صفة الأبدية، وأن الأكل والشرب لبقاء الشخص نفسه، ومعاشرة الزوجـة

(١) ص ٥٨٦ ، ٥٨٧ من الكلمات

لبقاء النوع، فصارت – هذه الأمور – أمورا أساسية فى هذا العالم، أما فى العالم الأبدى والأخروى فلا حاجة إليها، فلم إذن درجت ضمن لذائذ الجنة العظيمة؟

الجواب:

أولا: إن تعرض جسم حى للانقراض والموت فى هذا العالم، ناجم من اختلال موازنة الواردات والصرفيات (أى بين ما يرد وما يستهلك) فالواردات كثيرة منذ الطفولة إلى سن الكمال، وبعد ذلك يزداد الاستهلاك، فتضيع الموازنة، ويموت الكائن الحى..

أما فى عالم الأبدية، فإن الذرات تبقى ثابتة، لا تتعرض للتركيب والتحلل، أو تستقر الموازنة، فهى تامة ومستمرة، بين الواردات والصرفيات[1]، ويصبح الجسم أبديا، مع اشتغال مصنع الحياة الجسمانية لاستمرار تذوق اللذائذ. فعلى الرغم من أن الأكل والشرب والعلاقات الزوجية، ناشئة عن حاجة فى هذه الدنيا وتفضى إلى أداء وظيفة، فقد أودعت فيها لذائذ حلوة ومتنوعة، ترجح على سائر اللذائذ، أجرة معجلة لتلك الوظيفة.

فما دام الأكل والنكاح مدار لذائذ عجيبة ومتنوعة إلى هذا الحد، فى دار الألم هذه، فلاشك أن تلك اللذائذ تتخذ صورا رفيعة جدا، وسامية جدا، فى دار اللذة والسعادة، وهى الجنة، فضلا عن لذة الأجرة الأخروية، للوظيفة الدنيوية، التى تزيدها لذة، علاوة على لذة الشهية الأخروية اللطيفة نفسها، بدلا عن الحاجة الدنيوية – التى تزيدها لذة أخرى – حتى تزداد تلك اللذائذ لطافة وذوقا، بحيث تكون لذة جامعة لجميع اللذائذ، ونبعا حيا فياضا للذائذ لائقة بالجنة، وملائمة للأبدية. إذ المواد الجامدة التى لا شعور لها ولا حياة، فى دار الدنيا هذه، تصبح هناك

---

(١) إن جسم الإنسان والحيوان فى هذه الدنيا، كأنه مضيف للذرات، وثكنة عسكرية لها، ومدرسة تعليم لها، حيث تدخل فيه الذرات الجامدة فتكتسب لياقة تؤهله لتكون ذرات لعالم البقاء الحى، ثم تخرج منه، أما فى الآخرة فإن نور الحياة هناك عام شامل لكل شيء لقوله تعالى: ﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان﴾، فلا حاجة إلى ذلك السير والسفر والعمليات، ولا إلى تلك التعليمات والتدريبات لأجل التنور. فالذرات تبقى ثابتة مستقرة – المؤلف (الإمام النورسى).

ذات شعور وحياة بدلالة الآية الكريمة:

﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾

(العنكبوت، ٦٤)

فالأشجار هناك كالإنسان هنا، تدرك الأوامر وتنفذها، والأحجار هناك كالحيوانات هنا، تطيع ما تؤمر. فإذا قلت لشجرة: إعطيني ثمرة كذا تعطيك حالا، وإن قلت لحجر: تعال هنا، يأتيك.

فما دامت الأشجار والأحجار تتخذ مثل هذه الدرجات العالية من الصفات، فلاشك أن الأكل والشرب والنكاح تتخذ صورا رفيعة عالية، مع محافظتها على حقيقتها الجسمانية، التي تفوق درجاتها الدنيوية، بنسبة سمو درجة الجنة على الدنيا.

- سؤال: (١)

يحضر أعرابي مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم لدقيقة واحدة، فيكسب محبة لله. ويكون معه صلى الله عليه وسلم في الجنة حسب ما ورد في الحديث الشريف: ﴿ المرء مع من أحب ﴾(٢)، فكيف يعادل فيض غير متناه يناله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مع فيض هذا الأعرابي؟

الجواب: نشير إلى هذه الحقيقة السامية بمثال:

رجل عظيم أعد ضيافة فاخرة جدا، في بستان مزهر رائع الجمال. وهيأ معرضا في منتهى الزينة والإبداع، جامعا لجميع أنواع المطعومات، التي تحس بها حاسة الذوق، شاملا جميع المحاسن، التي ترتاح إليها حاسة البصر، ومشتملا على جميع الغرائب، التي تبهج قوة الخيال. وهكذا وضع فيه كل ما يرضى ويطمئن، كل حاسة من الحواس الظاهرة والباطنة.

---

(١) ص ٥٨٧ : ٥٨٩ من الكلمات.

(٢) رواه البخاري في الأدب ٩٦ ومسلم برقم ٢٦٤٠ عن أبي موسى الأشعري وأخرجه أحمد ٣٩٢/٤، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٥، وابن حبان ٥٥٧ – المترجم (الأستاذ إحسان قاسم).

والآن يذهب صديقان معا إلى تلك الضيافة، ويجلسان جنبا إلى جنب على مائدة واحدة، في مكان مخصص. ولكن لكون أحدهما يملك حاسة ذوق ضعيفة، لا يتذوق إلا شيئا قليلا من تلك الضيافة، ولا يرى كثيرا من الأشياء، لأن بصره ضعيف. ولا يشم الروائح الطيبة، لأنه فاقد لحاسة الشم. ولا يفهم خوارق الأشياء، لعجزه عن إدراك غرائب الصنعة.. أي لا يستفيد من تلك الروضة الرائعة، ولا يذوق من تلك الضيافة العامرة، إلا واحدا من ألف، بل من مليون مما فيها، وذلك حسب قابلياته الضعيفة. أما الآخر، فلأن جميع حواسه الظاهرة والباطنة، وجميع لطائفه من عقل وقلب وحس، كاملة مكتملة، متفتحة منكشفة، بحيث يحس جميع دقائق الصنعة، من ذلك المعرض البهيج، وجميع ما فيه من جمال ولطائف وغرائب، يحس كلا منها ويتذوقها، مع أنه جالس مع الرجل الأول.

فلئن كان هذا حاصلا في هذه الدنيا المضطربة المؤلمة الضيقة، ويكون الفرق بينهما، كالفرق بين الثرى والثريا، فلابد – بالطريق الأولى – أن يأخذ كل امرئ حظه من سفرة الرحمن الرحيم، في دار السعادة والخلود، ويحس بما فيها على وفق استعداداته – رغم كونه مع من يحب. فالجنان لا تمنع أن يكونا معا، بالرغم من تفاوتها، لأن طبقات الجنة الثماني، كل منها أعلى من الأخرى، إلا أن عرش الرحمن سقف الكل[1]. إذ لو بنيت بيوت متداخلة حول جبل مخروطي، كل منها أعلى من الآخر، كالدوائر المحيطة بالجبل، فإن تلك الدوائر تعلو الواحدة على الأخرى، ولكن لا تمنع الواحدة الأخرى عن رؤية الشمس، فنور الشمس ينفذ في البيوت كلها. كذلك الجنان شبيهة بهذا المثال إلى حد، كما تفهم من الأحاديث الشريفة.

(١) (الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها، وفوقه عرش الرحمن..) الحديث صحيح: رواه ابن ماجه عن معاذ = =والحاكم عن عبادة بن الصامت وعن أبي هريرة، وابن عساكر عن أبي عبيدة الجراح، ﷺ. (صحيح الجامع الصغير وزيادته ٣١١٦) قال المحقق: صحيح وانظر الأحاديث ٣٤٢٣، ٤١٢٠ من المصدر نفسه، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة ٩١٩ يشير إلى حديث: سقف الجنة عرش الرحمن. – المترجم (الأستاذ إحسان قاسم).

سؤال: [1]

ورد فى أحاديث شريفة ما معناه: أن المرأة من نساء أهل الجنة، يرى مخ سوقها، من وراء سبعين حلة[2]، ما معنى هذا؟ وما المراد منه؟ وكيف يعد هذا جمالا؟

الجواب: إن معناه جميل جدا، بل جماله فى منتهى الحسن واللطف. وذلك : فى هذه الدنيا القبيحة الميتة التى أغلبها قشر، يكفى للجمال والحسن أن يبدو جميلا للبصر، ولا يكون مانعا للألفة. بينما فى الجنة التى هى جميلة وحية ورائعة، وكلها لب محض، لا قشر فيها، تطلب حواس الإنسان كلها – كالبصر – ولطائفه كلها، أخذ حظوظ أذواقها المختلفة، ولذائذها المتباينة من الجنس اللطيف، وهن الحور العين، ومن نساء الدنيا لأهل الجنة، وهن يفضلن الحور العين بجمالهن، بمعنى أن الحديث الشريف يشير إلى أنه: ابتداء من أعلى طبقة من جمال الحلل، حتى مخ السيقان فى داخل العظام، كل منها مدار ذوق لحس معين وللطيفة خاصة.

نعم ؛ إن الحديث الشريف يشير بتعبير "على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ سوقهما".

أن الحور العين جامعة لكل نوع من أنواع الزينة والحسن والجمال، المادية والمعنوية، التى تشبع وترضى كل ما فى الإنسان، من مشاعر وحواس وقوى ولطائف، عاشقة للحس، ومحبة للذوق، ومفتونه بالزينة، ومشتاقة إلى الجمال.. بمعنى أن الحور يلبسن سبعين طرزا من أقسام زينة الجنة، دون أن يستر أحدها الآخر، إذ ليس من جنسه، بل يبدين جميع مراتب الحسن والجمال المتنوعة، بأجسادهن وأنفسهن وأجسامهن، بأكثر من سبعين مرتبة، حتى يظهرن حقيقة إشارة الآية الكريمة:

(١) ص ٥٨٩ ، ٥٩٠ من الكلمات.

(٢) أحاديث كثيرة فى الباب، منها: ".. لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهما من وراء لحومهما وحللهما، كما يرى الشراب الأحمر من الزجاجة البيضاء" رواه الطبرانى بإسناد صحيح والبيهقى بإسناد حسن عن عبد الله بن مسعود ورواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة بنحوه. – المترجم.

﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾ (الزخرف: ٧١).

ثم إن الحديث الشريف يبين: أن ليس لأهل الجنة فضلات بعد الأكل والشرب، إذ ليس فى الجنة ما لا يحتاج إليه من مواد قشرية زائدة.

نعم، ان كانت الأشجار فى هذه الدنيا السفلية، وهى فى أدنى مرتبة من ذوات الحياة، لا تترك فضلات مع تغذيته الكثيرة، فلم لا يكون أهل الطبقات العليا، وهم أهل الجنة دون فضلات؟

- سؤال: [1]

لقد ورد فى أحاديث نبوية هذا المعنى؛ أنه ينعم على بعض أهل الجنة ملكا بقدر الدنيا كلها، ومئات الآلاف من القصور، ومئات الآلاف من الحور العين، فما حاجة رجل واحد إلى هذه الكثرة من الأشياء؟ وما يلزمه منها؟ وكيف يكون ذلك؟ وماذا تعنى هذه الأحاديث؟

الجواب: لو كان الإنسان جسدا جامدا فحسب، أو كان مخلوقا نباتيا، وعبارة عن معدة فقط، أو عبارة عن جسم حيوانى، وكائن جسمانى موقت بسيط مقيد ثقيل، لما كان يملك تلك الكثرة الكاثرة من القصور والحور، ولا كانت تليق به. ولكن الإنسان معجزة من المعجزات الإلهية الباهرة، بحيث لو يعطى له ملك الدنيا كلها، وثروتها ولذائذها فى هذه الدنيا الفانية، وفى هذا العمر القصير، فلا يشبع حرصه، حيث هناك حاجات لقسم من لطائف غير منكشفة.

بينما الإنسان فى دار السعادة الأبدية، وهو المالك لاستعدادات غير متناهية، يطرق باب رحمة غير متناهية، بلسان احتياجات غير متناهية، وبيد رغبات غير متناهية، فلاشك أن نيله لاحسانات إلهية كما ورد فى الأحاديث الشريفة، معقول وحق وحقيقة قطعا.

(١) ٥٩٠ ، ٥٩١ من الكلمات.

وسنرصد هذه الحقيقة السامية بمنظار تمثيل على النحو الآتى:

إن لكل بستان من البساتين الموجودة فى (بارلا) صاحبه ومالكه، كما هو الحال فى بستان هذا الوادى[1]، إلا أن كل نحل وطير وعصفور فى (بارلا) يستطيع القول: إن جميع بساتين (بارلا) ورياضها متنزهاتى وميدان جولانى، بالرغم من أنه تكفيه حفنة من قوت. أى أنه يضم (بارلا) كلها فى ملكه. ولا يجرح حكمه هذا اشتراك الآخرين معه.

وكذلك الإنسان – الذى هو حقا إنسان – يصح له أن يقول: إن خالقى قد جعل لى هذه الدنيا كلها بيتا، والشمس سراجا، والنجوم مصابيح، والأرض مهدا مفروشا، بزرابى مبثوبة مزهرة. يقول هذا ويشكر ربه. ولا ينقض حكمه هذا، اشتراك المخلوقات الأخرى معه فى الدنيا، بل المخلوقات تزين الدنيا وتجملها.

ترى لو أدعى إنسان أو طير نوعا من التصرف، فى مثل هذه الدوائر العظمى، ونال نعما جسيمة فى هذه الدنيا الضيقة جدا، فكيف يستبعد إذن إحسان ملك عظيم له، ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام فى دار سعادة واسعة أبدية؟

ثم أننا نشاهد ونعلم فى هذه الدنيا الكثيفة المظلمة الضيقة، وجود الشمس بعينها فى مرايا كثيرة جدا فى آن واحد.. ووجود ذات نورانية فى أماكن كثيرة فى آن واحد، وحضور جبرائيل عليه السلام فى ألف نجم ونجم، وأمام العرش الأعظم، وفى الحضرة النبوية، وفى الحضرة الإلهية، فى آن واحد.. ولقاء الرسول صلى الله عليه وسلم أتقياء أمته فى الحشر الأعظم فى آن واحد.. وظهوره صلى الله عليه وسلم فى الدنيا فى مقامات لا تحد، فى آن واحد.. ومشاهدة الأبدال – وهم نوع غريب من الأولياء – فى أماكن كثيرة فى وقت واحد.. وإنجاز العوام من الناس فى الرؤيا، ومشاهدتهم عمل سنة كاملة، فى دقيقة واحدة.. ووجود كل إنسان بالقلب والروح والخيال فى أماكن كثيرة، وتكوين علاقات معها فى آن واحد.. كل ذلك معلوم

(١) هو بستان سليمان الذى خدم هذا الفقير ثمانى سنوات بوفاء تام، وقد كتب هذا البحث هناك فى غضون ما يقرب من ساعتين – المؤلف (الإمام النورسى).

ومشهود لدى الناس.

فلاشك أن وجود أهل الجنة – الذين تكون أجسامهم فى قوة الروح وخفتها وفى سرعة الخيال – فى مائة ألف مكان، ومعاشرتهم مائة ألف من الحور العين، وتلذذهم بمائة ألف نوع من أنواع اللذائذ، فى وقت واحد، يليق بتلك الجنة الأبدية، الجنة النورانية، غير المقيدة، الواسعة، وملائم تماما مع الرحمة الإلهية المطلقة، ومنطبق تماما مع ما أخبر به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فهو حق وحقيقة.. ومع كل هذا فإن تلك الحقائق العظيمة السامية جدا، لا توزن بموازين عقولنا الصغيرة. نعم، لا يلزم العقول الصغيرة إدراك تلك المعانى . لأن هذا الميزان لا يتحمل ثقلا بهذا القدر.

رابعا: تساؤلات حول الحكمة فى خلق الشياطين والشرور

﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ۝ وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ (المؤمنون: ٩٧-٩٨)

يتناول هذا القسم الأسئلة التى تزلزل عقول المؤمنين، عندما تضعف مقاومتهم أمام إغراء الشياطين.

• سؤال:

ما الحكمة فى أن حزب الشيطان هو الغالب فى أكثر الأحوال، وما السر فى استعاذة أهل الحق فى كل حين بالله سبحانه من شر الشيطان؟ [١]

الجواب: السر والحكمة هما كما يأتى:

إن الضلالة والشر بأكثريتها المطلقة، شيء عدمى وسلبى وغير أصيل، وهى إخلال وتخريب. أما الهداية والخير، فهى بأكثريتها المطلقة، ذات وجود وشيء إيجابى وأصيل وهى إعمار وبناء. ومن المعلوم أنه يتمكن رجل واحد، فى يوم واحد، أن يهدم ما بناه عشرون رجلا فى عشرين يوما، وأن حياة الإنسان التى تبقى باستمرار

(١) ص ١٠٩ ، ١١٠ من اللمعات ، ويمكن مراجعة المكتوبات ص ٥١.

أعضائه، الأساس ضمن شرائط الحياة، مع أنها تخص قدرة الخالق جل وعلا، إلا أنها تتعرض إلى الموت – الذى هو عدم بالنسبة لها – إذا ما قطع ظالم عضوا من جسم ذلك الإنسان. ولهذا سار المثل: "التخريب أسهل" من التعمير.

فهذا هو السر فى أن أهل الضلالة بقدرتهم الضعيفة حقا يغلبون أحيانا أهل الحق الأقوياء جدا.

ولكن لأهل الحق قلعة منيعة، ما أن يتحصنوا بها ويلوذوا بها، فلا يجرؤ أن يتقرب إليهم أولئك الأعداء المخيفون، ولا يمكنهم أن يمسوهم بسوء. ولئن أصابهم شيء منهم – مؤقتا – فالفوز والثواب الأبدى، الذى ينتظرهم فى بشرى القرآن الكريم: يذهب أثر ذلك الضر والقرح.

وتلك القلعة الشامخة، وذلك الحصن المنيع هى الشريعة الإلهية وسنة النبى صلى الله عليه وسلم.

- **سؤال:**

إن خلق الشياطين وهم الشر المحض، وتسليطهم على أهل الإيمان، وسوقهم كثيرا من الناس إلى الكفر، ودخولهم النار بمكايدهم، هو قبح ظاهر. وأمر مرعب. فيا ترى كيف ترضى رحمة ذلك الرحيم المطلق، ويسمح جمال ذلك الجميل المطلق، وهو الرحمن ذو الجمال، بهذا القبح غير المتناهى والمصيبة العظمى؟! (١)

الجواب: أنه إزاء الشرور الجزئية للشياطين، تكمن فى وجودهم كثير من المقاصد الخيرة الكلية وكمالات، ترقى بالإنسان فى سلم الكمال.

نعم ، كما أن هناك مراتب كثيرة، بدءا من البذرة إلى الشجرة الباسقة، كذلك للاستعدادات الفطرية الكامنة فى ماهية الإنسان، من المراتب والدرجات ما تفوق ذلك، بل قد تصل إلى المراتب الموجودة بين الذرة والشمس. ولكى تظهر هذه الاستعدادات وتنبسط، لابد لها من حركة، ولابد لها من تفاعل وتعامل. فحركة لولب الرقى، ونابض السمو، فى ذلك التعامل هى بـ "المجاهدة" ولا تحصل هذه

(١) ص ١١٠ ، ١١١ من اللمعات.

"المجاهدة" إلا بوجود الشياطين والأشياء المضرة، إذ لولا تلك "المجاهدة" لظلت مرتبة الإنسان ثابتة كالملائكة، وعندها ما كانت لتظهر تلك الأصناف السامية من النسل، التي هي بحكم الآلاف من الأنواع في النوع الإنساني. وحيث أنه ليس من الحكمة والعدالة بشيء، أن يترك الخير الكثير جدا، تجنبا لحصول شر جزئي، فإن انزلاق كثير من الناس بخطوات الشيطان، لا يحمل أهمية كبيرة، ما دام التقويم والأهمية يأخذ "النوعية" بنظر الاعتبار، ولا ينظر إلى "الكمية" إلا قليلا، بل قد لا ينظر إليها.

مثال ذلك:

شخص لديه ألف وعشر من البذور، زرعها في التراب، فجعلها تتعرض للتفاعلات الكيمياوية. فإذا أنبتت عشر من تلك البذور وأينعت، فإن المنافع الحاصلة منها تفوق – بلا شك – خسارة الألف بذرة التي تعرضت للتلف والفساد.

وهكذا، فإن المنافع والمنزلة والأهمية، التي حازتها البشرية من عشرة أشخاص كاملين، يتلألأون كالنجوم في سمائها، والذين أخذوا بيد الإنسانية إلى مراقي الفلاح، وأضاءوا السبل أمامهم، وأخرجوهم إلى النور، بمجاهدتهم للنفس والشيطان.. لاشك أنها تزيل ما يلحق بها من أثر الضرر الناجم، من كثرة الداخلين في حمأة الكفر من الضالين، الذين يعدون من جنس الحشرات، لتفاهتهم ودناءتهم. لهذا فقد رضيت العدالة وحكمتها، وسمحت الرحمة الربانية، بوجود الشياطين وتسلطها.

فيا معشر أهل الإيمان! إن درعكم المنيع لصد أولئك الأعداء، هو التقوى المصنوعة في دوحة القرآن الكريم. وإن خنادقكم الحصينة هي سنة نبيكم عليه أفضل الصلاة والسلام. وأما سلاحكم فهو الاستعاذة والاستغفار، والالتجاء إلى الحرز الإلهي.

• سؤال:

أين يكمن السر والحكمة، في وعيد القرآن المرعب، وتهديده لأهل الضلالة، تجاه عمل جزئي صدر منهم، مما لا يتناسب بظاهر العقل مع بلاغته، التي تتسم بالعدالة والانسجام، وأسلوبه المعجز الرزين. إذ كأنه يحشد الجيوش الهائلة، تجله

شخص عاجز، لاحظ له فى الملك، فيكسبه منزلة شريك متجاوز حده؟[1]

الجواب: إن سر ذلك وحكمته هو:

إن فى وسع الشياطين ومن تبعهم، أن يقوموا بتخريب مدمر، بحركة بسيطة تصدر منهم، لأنهم يسلكون طريق الضلالة، فيلحقون بفعل جزئى يصدر منهم، خسائر جسيمة بحقوق الكثيرين، مثلهم فى هذا كمثل رجل، ركب سفينة تجارية عامرة للملك، ثم خرقها خرقا بسيطا، أو ترك واجبا كان عليه أن يؤديه، فأهدر بفعله هذا جهد من فى السفينة، وأفسد عليهم جنى ثمار عملهم فيها، وأبطل نتائج أعمال كل من له علاقة بها، لذا سيهدده الملك الذى يملك السفينة تهديدات عنيفة، باسم جميع رعاياه فى السفينة وجميع المتضررين فيها، وسيعاقبه أشد العقاب حتمك لا لحركته الجزئية أو تركه الواجب، وإنما للنتائج المترتبة على تلك الحركة، أو الترك البسيط، وليس لتجاوزه حمى الملك، وإنما لتعديه على حقوق الرعية جميعها.

وكذلك سفينة الأرض: ففيها مع المؤمنين أهل الضلال من حزب الشيطان، الذين يستخفون بنتائج الوظائف الحكيمة للموجودات الرائعة، بل يعدونها عبثا وباطلا، فيحقرون بذلك جميعها، مما تشكل خطيئاتهم ومعاصيهم – الجزئية فى الظاهر – تجاوزا واضحا، وتعديا على حقوق الموجودات كافة، لذا فان الله سبحانه، وهو ملك الأزل والأبد، يحشد التهديدات المروعة، ضد ذلك التدمير الصادر من أهل الضلالة.. وهذا هو الانسجام التام فى أسلوب القرآن الكريم، والتوافق الرائع، وهو الحكمة البالغة الخاصة المستترة فى روح البلاغة، التى هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهى بعيدة كل البعد، ومنزهة كل التنزيه، عن المبالغة، التى هى الإسراف فى الكلام.

فيا هلاك ويا ضياع من لا يحصن نفسه بحصن منيع، من أولئك الأعداء الألداء، الذين يقومون بتخريب مروع، وتدمير هائل، بحركاتهم الجزئية.

فيا أهل الإيمان! أمامكم الحصن السماوى المنيع.. إنه القرآن الكريم.. ادخلوا فيه، وأنقذوا أنفسكم..

(١) ص ١١٢ ، ١١٣ من اللمعات.

• سؤال: [1]

إنه على الرغم من توفر أسباب الهداية والاستقامة، ووسائل الإرشاد، أمام أهل الإيمان، بما بينه الله سبحانه لهم فى كتبه المقدسة كافة، من مثوبة وهى نعيم الجنة، ومن عقاب أليم وهو نار جهنم، ومع ما كرره سبحانه من توجيه وتنبيه وترغيب وتحذير.. يغلب أهل الإيمان أمام الدسائس الدنيئة والضعيفة التافهة، الصادره عن حزب الشيطان!!

وكيف لا يهتم صاحب الإيمان، بذلك الوعيد المخيف من رب العالمين؟ وكيف لا يزول إيمانه وهو يعصى ربه متبعا خطوات الشيطان، ومكايده الضعيفة، كما فى قوله تعالى: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾

(النساء: ٧٦).

الجواب: انكشفت لى ولله الحمد حقائق الإشارات السابقة، فأنارت كثيرا من الأمور الغامضة.. فعلمت بذلك النور: أن تكرار الترغيب والحث فى القرآن الكريم ضرورى جدا، ومناسب وملائم للحال.. وأن انخداع أهل الإيمان بمكايد الشيطان، لا ينجم عن عدم الإيمان، ولا من ضعفه.. وأنه لا يكفر من ارتكب الكبائر. فالمعتزلة وقسم من الخوارج قد أخطأوا حين كفروا مرتكب الكبائر، أو جعلوه فى منزلة بين المنزلتين..

ذلك لأن الشيطان – كما قلنا سابقا – بأمر سلبى جزئى منه، يورد الإنسان المهالك الخطيرة.. وأن النفس التى بين جنبى الإنسان، دائمة الإنصات إلى الشيطان.. وأن قوته الشهوانية والغضبية، هما بمثابة جهاز لاقط، وجهاز توصيل، لمكايد الشيطان. ولذلك فقد خصص الله سبحانه وتعالى اسمين من أسمائه الحسنى (الغفور، الرحيم) ليتجليا بالتجلى الأعظم، ويتوجها إلى أهل الإيمان، وأوضح فى القرآن الكريم أن أعظم إحسان له للأنبياء عليهم السلام هو: المغفرة.. فدعاهم إلى: الاستغفار. وأنه سبحانه بتكراره "بسم الله الرحمن الرحيم" وجعلها بدءا لكل سورة،

(١) ص ١١٤ ، ١١٥ من اللمعات.

ولكل أمر ذى بال، جعل رحمته التى وسعت كل شيء هى الملاذ والملجأ لأهل الإيمان، وهى الأمان والنجاة لهم من الشيطان. وجعل الحاجز المانع لهم من الشيطان ودسائسه هو فى: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" وذلك بأمره: ﴿فاستعذ بالله﴾ (النحل، ٩٨).

• سؤال: (١)

إن أخطر دسائس الشيطان: هو أنه يلبس على بعض ذوى القلوب الصافية والحس المرهف، ويوهمهم بالشك فى بعض يقينيات الإيمان، بجعل الإمكان الذاتى فى صورة الإمكان العقلى. وعندئذ يظن هذا المسكين المرهف الحس، أنه قد هوى فى الكفر والضلالة، ويتوهم أنه قد زال يقينه الإيمانى، فيقع فى اليأس والقنوط. فكيف السبيل إلى النجاة من ذلك؟

الجواب: كما أن صورة الحية فى المرآة لا تلدغ، وانعكاس النار فيها لا يحرق، وظل النجس فيها لا ينجس، كذلك ما ينعكس على مرآة الخيال أو الفكر، من صور الكفر والشرك، وظلال الضلالة، وخيالات الكلمات النابية والشتم، لا تفسد العقيدة واليقين، ولا تغير الإيمان، ولا تثلم أدب التوقير والاحترام. ذلك لأنه من القواعد المقررة: "تخيل الشتم ليس شتما، وتخيل الكفر ليس كفرا، وتصور الضلالة ليس ضلالة".

أما مسألة الشك فى الإيمان، فإن الاحتمالات الناشئة من "الإمكان الذاتى" لا ينافى اليقين ولا يخل به. إذ من القواعد المقررة فى علم أصول الدين: "أن الإمكان الذاتى لا ينافى اليقين العلمى".

فمثلا: نحن على يقين من أن بحيرة "بارلا" مملوءة بالماء ومستقرة فى مكانها إلا أنه يمكن أن تخسف فى هذه اللحظة. فهذا إمكان ذاتى واحتمال، وهو من الممكنات. ولكن لأنه لم ينشأ من أمارة، أو دليل، فلا يكون "إمكانا ذهنيا" حتى يوجب الشك. لأن القاعدة المقررة فى علم أصول الدين أنه: "لا عبرة للاحتمال غير الناشئ عن

(١) ص ١١٥ : ١١٧ من اللمعات.

دليل" بمعنى: لا يكون الاحتمال الذاتى الذى لم ينشأ عن أمارة إمكانا ذهنيا، فلا أهمية له كى يوجب الشك. فبمثل هذه الإمكانات والاحتمالات الذاتية، يظن المسكين المبتلى، أنه قد فقد يقينه بالحقائق الإيمانية. فيخطر بباله مثلا خواطر كثيرة، من الإمكان الذاتى، من جهة بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم، ولاشك أنها لا تخل بيقينه وجزمه الإيمانى، ولكن ظنه أن هذا يضر، هو الذى يسبب له الضرر.

وأحيانا أخرى تلقى لمة الشيطان – التى هى على القلب – كلاما لا يليق بجلال الله سبحانه وتعالى. فيظن صاحبه أن قلبه هو الذى فسد، فصدر عنه هذا الكلام، فيضطرب ويتألم. والحال أن اضطرابه وخوفه وعدم رضاه، دليل على أن تلك الكلمات لم تكن صادرة من قلبه، وإنما هى من اللمة الشيطانية، أو أن الشيطان يخيلها إليه ويذكره بها.

وكذلك فإن من بين اللطائف الإنسانية – وهى بضع لطائف لم أستطع تشخيصها – ما لا ترضخ للإرادة والاختيار، ولا تدخل تحت وطأة المسؤولية – فتتحكم أحيانا وتسيطر، دون أن تنصت لنداء الحق، وتلج فى أمور خاطئة، وعندئذ يلقى الشيطان فى روع هذا الإنسان المبتلى: أن فطرتك فاسدة لا تنسجم مع الإيمان والحق، ألا ترى أنها تلج بلا إرادة فى مثل هذه الأمور الباطلة؟ إذن فقد حكم عليك قدرك بالتعاسة وقضى عليك بالشقاء!!. فيهلك ذلك المسكين فى هذا اليأس المدمر.

وهكذا فإن حصن المؤمن الحصين، من الدسائس الشيطانية المتقدمة، هى المحكمات القرآنية والحقائق الإيمانية المرسومة حدودها، بدساتير العلماء المحققين والأصفياء الصالحين. أما الدسائس الأخيرة فإنها ترد بالاستعاذة بالله سبحانه وتعالى وبإهمالها، لأن من طبيعة الوساوس أنها تكبر وتتضخم كلما زاد الاهتمام بها. فالسنة المحمدية للمؤمن هى البلسم الشافى لمثل هذه الجراحات الروحية.

خاتمة الجزء الثانى

لماذا لا يستجاب الدعاء أحيانا ؟

رأينا أن نسجل فى تلك الخاتمة ذلك السؤال الذى يحير معظم العقول ويقلق القلوب، ويتنافى مع أساسيات العقيدة، التى تفرض على المسلمين الدعاء كأساس لتقبل العبادات. ولكن الشيطان يقعد للمسلمين على الصراط المستقيم، ويصدهم عن سبيل الله القويم.. فيزلزل يقينهم فى ربهم بهذا السؤال، الذى يسبب كثيرا من المشكلات العقلية والقلبية.

ولكن الإمام النورسى – بحكمته ونورانيته – يزيل تلك الحجر العثرة من طريق المؤمنين، بإجابته الشافية الوافية، التى تقنع العقول، وتشفى القلوب من همزات الشياطين فيقول ﷺ[1]:

إن الرد على هذا السؤال يتناول ثلاث نقاط:

النقطة الأولى:

اعلم أن الدعاء سر عظيم للعبادة، بل هو مخ العبادة وروحها، والدعاء – مثلما ذكرناه فى مواضع أخرى كثيرة – على أنواع ثلاثة.

• النوع الأول من الدعاء:

هو دعاء بلسان الاستعداد والقابلية المودعة فى الشىء. فالحبوب والنويات جميعها، تسأل فاطرها الحكيم، بلسان استعدادها، وقابلياتها المودعة فيها، قائلة: اللهم يا خالقنا هيئ لنا نموا، نتمكن به من إبراز بدائع أسمائك الحسنى، فنعرضها أمام الأنظار.. فحول اللهم حقيقتنا الصغيرة، إلى حقيقة عظيمة.. تلك هى حقيقة الشجرة والسنبل.

وثمة دعاء من هذا النوع – أى بلسان الاستعداد – هو اجتماع الأسباب.

(١) ص ٣٨٦ : ٣٩٠ من المكتوبات ، ويمكن أيضا مراجعة الملاحق ص ٢٤٠ : ٢٤٣.

فاجتماع الأسباب دعاء لإيجاد المسبب، أى أن الأسباب تتخذ وضعا معينا، وحالة خاصة، بحيث تكون كلسان حال، يطلب المسبب من القدير ذى الجلال.. فالبذور – مثلا – تسأل بارءها القدير، أن تكون شجرة، وذلك بلسان استعدادها فيتخذ كل من الماء والحرارة والتراب والضوء، حالة معينة حول البذرة، حتى تكون تلك الحالة، كأنها لسان ينطق بالدعاء قائلا: اللهم يا خالقنا اجعل هذه البذرة شجرة.

نعم، إن الشجرة التى هى معجزة قدرة إلهية خارقة، لا يمكن بحال من الأحوال أن يفوض أمرها ويسند خلقها إلى تلك المواد البسيطة الجامدة الفاقدة للشعور، بل محال إحالتها إلى تلك الأسباب.. فاجتماع الأسباب إذا، إنما هو نوع من الدعاء.

• النوع الثانى من الدعاء:

هو الدعاء الذى يسأل بلسان حاجة الفطرة، فالكائنات الحية جميعها تطلب مطاليبها، وتسأل حاجاتها – الخارجة عن طوقها واختيارها – من خالقها الرحيم، وتستجاب لها مطاليبها وحاجاتها، فى أنسب وقت، ومن حيث لا تحتسب، إذ أن أيديها قاصرة عن أن تصل إلى ما تريد، أو دفع حاجة لها، فإرسال كل ما تطلبه إذن، مما هو خارج عن طوقها واختيارها، وفى أنسب وقت، ومن حيث لا تحتسب، إنما هو من قبل حكيم رحيم. وإغداق هذا الإحسان والإنعام، ما هو إلا استجابة لدعاء فطرى.

نحصل من هذا: أن هذا النوع من الدعاء الفطرى، تنطلق به ألسنة حاجة الفطرة، لجميع الكائنات فتسأل الخالق القدير مطاليبها، والتى هى من قبيل الأسباب، تسأل القدير العليم المسببات.

• النوع الثالث من الدعاء:

هو الدعاء الذى يسأله ذو الشعور لتلبية حاجاتهم. وهذا الدعاء نوعان أيضا:

فالقسم الأول: مستجاب على الأغلب، إن كان قد بلغ درجة الاضطرار، أو كان ذا علاقة قوية مع حاجة الفطرة وموافقة معها، أو كان قريبا من لسان الاستعداد والقابلية، أو كان خالصا صافيا نابعا من صميم القلب.

إن ما أحرزه الإنسان من رقى، وما نال من كشوفات، ما هو إلا نتيجة هـــذا النوع من الدعاء، إذ ما يطلقون عليه من خوارق الحضارة، والأمور التى يحســـبوها مدار افتخار اكتشافاهم، ما هو إلا ثمرة هذا الدعاء المعنوى، الذى سألته البشـــرية بلسان استعداد خالص، فاستجيب لها. فما من دعاء يســـأل بلســـان الاســـتعداد، وبلسان حاجة الفطرة، إلا استجيب، إن لم يكن هناك مانع، وكان ضمن شــــرائطه المعينة.

أما القسم الثانى: فهو الدعاء المعروف لدينا. وهذا أيضا فرعان:

أحدهما فعلى والآخر قولى.

فمثلا: حرث الأرض نوع من دعاء فعلى، يطلب الإنسان الرزق من رزاقـــه الحكيم، يطلبه منه لا من التراب، فالتراب باب لخزينة رحمته الواســـعة ليـــس إلا، يطرقه الإنسان بالمحراث.

سنطوى تفاصيل الأقسام الأخرى، ونذكر بضعة أسرار للدعـــاء "القـــولى" وذلك النقاط التالية:

النقطة الثانية:

اعلم أن تأثير الدعاء عظيم، ولاسيما إذا دام واكتسب الكلية، فهذا الدعـــاء يثمر على الأغلب ويستجاب دائما. حتى يصح أن يقال: أن سبب خلق العالم إنما هو دعاء، حيث أن الدعاء العظيم للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وهـــو يتقـــدم العالم الإسلامى، الذى يدعو الدعاء نفسه، وهم يتقدمون البشرية جمعاء، التى تســـأل الدعاء نفسه.. ذلك الدعاء هو: السعادة الأبدية، وهو سبب من أسباب خلق العالم. أى أن رب العالمين قد علم بعلمه الأزلى: أن ذلك الرسول الكريم صلـــى الله عليـــه وسلم سيسأله السعادة الأبدية والحظوة، بتجل من تجليات أسمائه الحسنى، سيســـأله باسم البشرية قاطبة، بل باسم الموجودات.. فاستجاب سبحانه وتعالى ذلك الدعـــاء العظيم، فخلق هذا العالم.

فما دام الدعاء قد اكتسب هذه الأهمية العظيمة، والسعة الشاملة فهل يمكـــن ألا يستجاب؟ وهل يمكن لدعاء يلهج به مئات الملايين من البشر – فى الأقل – ومنـــذ

ألف وثلاث مائة سنة يدعونه متفقين، فى كل حين، بل يدعو معهم كل الطيبين، من الجن والملك والروحانيات، ممن لا يحصون ولا يعدون.. هل يمكن ألا يستجاب هذا الدعاء، الذى يدعونه للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لينال الرحمة الإلهية العظيمة، والسعادة الخالدة.

فما دام قد اكتسب هذا الدعاء الكلية والسعة والدوام إلى هذا الحد، حتى بلغ درجة لسان الاستعداد وحاجة الفطرة، فلابد أن ذلك الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قد اعتلى نتيجة الدعاء – مرتبة رفيعة عالية، بحيث لو اجتمعت العقول جميعا، للإحاطة بحقيقة تلك المرتبة، لعجزت عجزا تاما.

فبشراك أيها المسلم! إن لك شفيعا كريما فى يوم الحشر الأعظم، هو هذا الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم .. فاسع لنيل شفاعته باتباع سنته المطهرة.

فإن قلت: ما حاجة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهو حبيب رب العالمين، إلى هذه الكثرة من الدعاء والصلوات عليه؟

الجواب: أنه عليه الصلاة والسلام ذو علاقة قوية مع سعادة أمته قاطبة، فله حصته مما يناله كل فرد من أفراد أمته من أنواع السعادة، وهو يحزن أيضا ويتألم لكل مصيبة تصيبهم.

فعلى الرغم من أن مراتب الكمال والسعادة بحقه لا حد لها، فإن الذى يرغب رغبة شديدة، فى أن تنال أفراد أمته، الذين لا يحدون، أنواعا لا تحد من السعادة، وفى أزمان لا تحد، ويتألم بأنواع لا حد لها من شقائهم ومصائبهم، لابد أنه محتاج وحرى به، صلوات لا حد لها، وأدعية لا حد لها، ورحمة لا حد لها.

فإن قلت: يدعى أحيانا بدعاء خالص، لأمور تقع قطعا، كالدعاء فى صلاة الكسوف والخسوف، وقد يدعى أحيانا لأمور لا يمكن وقوعها..

الجواب: لقد أوضحنا فى كلمات أخرى: أن الدعاء نوع من العبادة، حيث يعلن الإنسان عجزه وفقره بالدعاء. أما المقاصد الظاهرية، فهى أوقات تلك الأدعية والعبادة الدعائية، وهى ليست نتائج الأدعية وفوائدها الحقيقية، لأن فائدة العبادة وثمرتها متوجهة إلى الآخرة، أى يجنيها الداعى فى الآخرة، لذا لو لم تحصل المقاصد

الدنيوية التى يتضمنها الدعاء، فلا يجوز القول: أن الدعاء لم يستجب، وإنما يصح القول: أنه لم ينقض بعد وقت الدعاء.

فهل يمكن يا ترى ألا يستجاب دعاء للسعادة الخالدة، يسألها جميع أهل الإيمان، فى جميع الأزمنة، يسألونه بإلحاح وخلوص نية وباستمرار. فهل يمكن ألا يقبل الرحيم المطلق والكريم المطلق – التى تشهد الكائنات لسعة رحمته وشمول كرمه – هذا الدعاء، وهل يمكن ألا تتحقق تلك السعادة الأبدية!؟ كلا ثم كلا..

النقطة الثالثة:

إن استجابة "الدعاء القولى الاختيارى" تكون بجهتين: فإما أن يستجاب الدعاء بعينه، أو بما هو أفضل منه وأولى.

فمثلا: يدعو أحدهم أن يرزقه الله مولودا ذكرا، فيرزقه الله تعالى مولودة كمريم عليها السلام، فلا يقال عندئذ: أن دعاءه لم يستجب، بل قد استجيب بما هو أفضل من دعائه.

ثم أن الإنسان قد يدعو لنيل سعادة دنيوية، فيستجيب الله له لسعادة أخروية، فلا يقال: أن دعاءه لم يستجب، بل قد استجيب بما هو أنفع له .. وهكذا.

فنحن إذن ندعوه سبحانه ونسأل منه وحده، وهو يستجيب لنا، إلا أنه يتعامل معنا على وفق حكمته لأنه حكيم عليم.. فينبغى للمريض ألا يتهم حكمة الطبيب الذى يعالجه، إذ ربما يطلب منه أن يداويه بالعسل، فلا يعطيه الطبيب – لعلمه أنه مصاب بالحمى – إلا دواء مرا علقما!. فلا يحق للمريض أن يقول: إن الطبيب لا يستجيب لدعائى، بل قد استمع لأناته وصراخه، وأجابه فعلا، وبأفضل منه.

النقطة الرابعة:

إن أطيب ثمرة حاضرة يجنيها المرء من الدعاء وألذها، وإن أجمل نتيجة آنية، يحصل عليها المرء من الدعاء وألطفها، هى الآتى:

أن الداعى يعلم يقينا أن هناك من يسمعه، ويترحم عليه ويسعفه بدوائه،

وقدرته تصل إلى كل شيء. وعندها يستشعر فى نفسه، أنه ليس وحيدا فريــــدا، فى هذه الدنيا الواسعة، بل هناك كريم ينظر إليه بنظر الكرم والرحمة، فيدخل الأنس إلى قلب الداعى، ويتصور أنه فى كنف الرحيم، المقتدر على قضاء حاجاته غير المحدودة، ودفع أعدائه غير المعدودة. وفى حضور دائم أمامه، فيغمره الفــــرح والانشــراح، ويشعر أنه قد ألقى عن كاهله عبئا ثقيلا، فيحمد الله قائلا: الحمد لله رب العالمين.

النقطة الخامسة:

إن الدعاء روح العبادة ومخها، وهو نتيجة إيمان خالص، لأن الداعى يظـــهر بدعائه أن الذى يهيمن على العالم كله، ويطلع على أخفى أمورى، ويحيط بكل شيء علما، هو القادر على إغاثتى، وإسعاف أبعد مقاصدى، وهو البصير بجميع أحـــوالى والسميع لندائى، لذا فلا أطلب إلا منه وحده، فهو يسمع أصـــوات الموجـــودات كلها، ولابد أنه يسمع صوتى وندائى أيضا.. وهو الذى يدبر الأمور كلـــها، فـــلا أنتظر تدبير أدق أمورى، إلا منه وحده.

وهكذا فيا أيها المسلم! تأمل فى سعة التوحيد الخالص، الذى يهبـــه الدعـــاء للمرء، وانظر مدى ما يظهره الدعاء من حلاوة خالصة لنور الإيمان وصفائه، وافـــهم منه حكمة قوله تعالى: ﴿قل ما يعبؤا بكم ربى لــولا دعــاؤكــم﴾ (الفرقــان: ٧٧) واستمع إلى قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعونى استجب لكم﴾ (غافر: ٦٠) وأنـــه لحق ما قيل: (أكرنه خواهى دادنه دادى خواه) أى لو لم يرد القضاء ما ألهم الدعاء.

وفى نهاية هذا الجزء:

نتوجه إلى الله العلى القدير أن يتقبل دعاءنا، ويرزقنا الصبر والرضا بقدرنـــا، وينير قلوبنا، ويرشد عقولنا، بما يحقق قدرتنا على مواجهة مشكلاتنا، وتحقيق الأمـــن والطمأنينة فى حياتنا.

﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾

(البقرة: ١٢٧، ١٢٨).

النتائج والتوصيات

إن الحديث عن القلب والعقل لا ينتهى.. وكذلك المشاكل التى تنشأ عن اضطراب أى منهما، نتيجة الانحراف عن منهج الله، لا ينضب معينها.. لأن الشيطان وراءها، يشعل أوارها، ويمدها بحبائله التى لا يعيا فى خلقها.

ولذلك فمما لا جدال فيه: أنه لن يهدأ قلب الإنسان، ولن يشعر بالأمن والسكينة والاطمئنان إلا فى ظل الرحمن.. ولن يستضئ عقله، وتكتمل أفكاره وتنضج آراؤه، إلا بأنوار الإيمان.

وقد حاولنا – قدر جهدنا البشرى المحدود – خلال رحلة بحثنا هذا، أن نلتقط بعض الجواهر واللآلى، التى زخرت بها كنوز رسائل النور، فى توضيح دور كل من هذين الجهازين الحيويين (العقل والقلب) اللذين أودعهما الله فى الإنسان، لاستنطاق أسرار الكون، فى عالم الملك والملكوت، وتحقيق كمال البشرية، بما ترنو إليه من سعادة دنيوية وأخروية.

ولا يفوتنا فى هذا المجال: أن نشهد للإمام النورسى، شهادة نستودعها خزائن الرحمة الإلهية، أنه بذل عصارة قلبه وعقله، فى بيان معالم الطريق إلى الله، واضحة لا لبس فيها ولا غبار.. وأنه فى يقيننا أنه ممن قيل عنهم: "فى عصرنا الحاضر يقاس مداد العلماء بدماء الشهداء".

فاللهم جازه عن كل من استفاد بعلمه خير الجزاء، وأسكنه على الجنات.. واجعله ممن قلت فيهم: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ (النساء، ٦٩).

ونبلور حصيلة ما استقيناه من إمامنا الجليل عن القلب والعقل فى النقاط التالية:

- إن القلب هو اللطيفة الربانية التى أودعها الله فى الإنسان لاستقبال الأنوار الإلهية فى عالم الملكوت، والعقل هو الجوهر النورانى الذى أودعه الله فى الإنسان

للتصرف فى الأمور الحياتية، وتنفيذ أوامر الشريعة، واستنطاق أسرار الكون فى عالم الملك.

لذا فإن إيقاظ ملكاقمما معا، معناه الوصول بالإنسان إلى الشخصية الكاملة، التى تستحق الخلافة فى الأرض، وتحقق مقومات السعادة الدنيوية والأخروية.

- إن الدعوات الإلحادية التى تدعو إلى استعلاء العقل على القلب، تحت أسماء مختلفة مثل العلمانية – التنوير.. تلك الدعوات تؤدى بالإنسان بلاشك إلى مهاوى التهلكة، لأن نور العقل وضياء القلب، هما جناحا الإنسان الضروريان، للتحليق فى المراتب العالية الرفيعة فى عالم الملك والملكوت، ولن يكون الإنسان مؤمنا حقا، إلا باتحادهما معا تحت راية التوحيد، فالقلب المفعم بنور الإيمان، يترجم للعقل أنواره فى صورة أحاسيس معقولة، فيستطيع العقل الإحساس بالمشاعر الإنسانية السامية، الساعية لتحقيق الفوز بثمار الآخرة الخالدة.. واستعلاء العقل معناه إصابة الإنسان بالغرور، والحرمان من عالم الملكوت وأنواره، لقصور العقل عن فهم هذا العالم بمفرده، لأنه لا يعى إلا كل ما هو مادى محسوس.

- اهتم القرآن اهتماما بالغا بأن يسهم كل من القلب والعقل فى مجالاته المختلفة، وميادينه التى خلق من أجلها.

  فالقلب فرحه وسروره وحياته وكمالاته، فى تجلى الحقائق الإلهية بنور الإيمان.

  والعقل غذاؤه فى الوعى والفهم باستجلاء قدرة الله فى عالم الملك، واستنطاق أسرار الله فى الكون.

  والإنسان المؤمن بحق، يعتبر كالخليفة الممهد له فى أرض الله، يتصرف فيها كيف يشاء.

- إن العقل والقلب من أعظم الأجهزة التى زود الله بهما الإنسان، لتحقيق السعادة الأبدية. وإيقاظهما معا ضرورة لتحقيق الأمان للإنسان فى حياته المادية والروحية.. فالقلب المظلم الخالى من نور الإيمان، والعقل الذى لا يغترف من أنوار القلب، يؤديان إلى حدوث خلل فى شخصية الإنسان وتعرضه لمشكلات

عقلية وقلبية لا نهاية لها، فيفقد الطمأنينة والأمان والسكينة فى الحياة.

- إن بعد العقل عن سر التوحيد، يجعله يتخبط فى أوهام الضلالة، ويصبح أداة تعذيب للإنسان، ووسيلة إزعاج، تردى البشرية فى دركات سحيقة أضل من الأنعام. فالمعرفة الإلهية هى نقطة استناد للإنسان أمام تقلبات الحياة ودواماتها، وتجعل العقل مفتاحا ثمينا للكنوز الإلهية السامية، وبذلك يحقق الإنسان شرفه اللائق وكماله المقدر، بانبساط روحه وجلاء قيمته، وقدرته على الاستعلاء على التحديات التى تعتصره، وتحرمه من مقومات السعادة.
- إن الذين يعتزون بعقولهم وهم فى حالة الكفر، يعيشون فى وهم وضلالة لا حدود لهما.. لأنه لو انكشفت عنهم الحجب، وعرفوا كيف يفكر المؤمنون؟ وإلى أى حدود يحلقون؟ لتقطعت قلوبهم حسرة على التيه الذى يعيشون فيه، والعجز الذى أوصلوا نفوسهم إليه بالغرور والغفلة والاستغناء.

كما أن دماغ الإنسان أشبه بمجمع مركزى للبث والاستقبال اللاسلكى. يستقبل ما فى الكون من علوم وفنون، يكشف عنها ويبثها أيضا.. فإن قلب الإنسان كذلك، هو محور لما فى الكون من حقائق إيمانية لا تحد، ومظهر لها، بل هو نواتها، وهو مرآة تجلى الأنوار الإلهية، وبدونه يغرق الإنسان فى ظلمات المادية.

- كلما كان العقل محكوما بأحكام القرآن، فلا يمكن لهذا الإنسان أن تغلبه النوازع والأحاسيس المادية الجارفة، التى لا ترى عاقبه أمرها، وبهذا وحده يكون كمال الإنسان، وقدرته على مواجهة مشاكل الحياة، لأنه يستطيع أن يكشف بعقله، عن مراتب الأسباب الظاهرية، فى خلق الكائنات ونتائجها ويعرف العلاقات بين العلل والأسباب، وبالتالى يدرك بعلمه الجزئى، إتقان الأفعال الإلهية، وقدرة الحكيم الخبير.
- يحذر الإمام النورسى ﷺ من يعتدون بعقولهم من المسلمين ويغترون بها، ويظنون أنها وسيلتهم المثلى فى المعراج إلى الله، محتجين فى ذلك بكثرة الآيات القرآنية، التى تستنهض العقل، وتدعو إلى التدبر والتفكر.

ويوصى إمامنا الجليل هؤلاء بالإيمان التحقيقى، الذى لا يتوقف فى حدود العقل فحسب، بل يسرى إلى القلب والروح والسر، وإلى لطائف أخرى، فيترسخ فيها رسوخا قويا، بحيث لا تصل يد الشيطان إليها أبدا.. وبذلك ينجو هؤلاء من خطر زوال الإيمان عند الموت، حيث لا يستطيع الشيطان أن يورث أحدا فى سكرات الموت، إلا إلقاء الشبهات بوساوسه إلى العقل فحسب، أما الإيمان الراسخ فى القلب، فيستعصى على السلب.

ولذلك يرسم الإمام النورسى طريق الإيمان التحقيقى بقوله: أن يكون المسلم ساعيا بالقلب تحت نظارة العقل، وبالعقل فى حماية القلب.

وفى ختام بحثنا هذا: ندعو الله مخلصين له الدين، أن يوفق أمة المسلمين، إلى تذوق روح الإيمان لتحقيق الطمأنينة والأمن والسلام، ومواجهة كل عقبات الحياة.

﴿وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾

(الأعراف: ٤٣)

المراجع

يعتبر هذا البحث خاص بفكر العالم الإمام التقى الورع:

"بديع الزمان سعيد النورسى" .. وتسمى مؤلفاته "كليات رسائل النور"

ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحى.

نشر وتوزيع: "دار سوزلر" للنشر – فرع القاهرة (١٠ شارع يوسف عباس – مدينة التوفيق – مدينة نصر – هاتف: ٢٦٣٦٦٨٤).

وتشمل "كليات رسائل النور" الكتب التالية:

١– الكلمات.. ترجمة كتاب سوزلر **SÖZLER** عن التركية

الترقيم الدولى: **I.S.B.N: 957-432-021-7**

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٢/٤٧٤١.

الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

٢– المكتوبات.. ترجمة كتاب المكتوبات **MEKTUBAT** عن التركية

الترقيم الدولى: **I.S.B.N: 975-402-022-5**

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٢/٨٤١٤.

الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

٣– اللمعات.. ترجمة كتاب اللمعات **LEM' ALLAR** عن التركية

الترقيم الدولى: **I.S.B.N: 977-5323-05-3**

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٣/١٧٨٦.

الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

٤– الشعاعات.. ترجمة كتاب شعاعلر **SUÂLAR** عن التركية

الترقيم الدولى: **I.S.B.N: 977-00-5680-4**

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٣/٨٣٢٣.

الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٥- إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز:

ترجمة كتاب **ISÂRÂTÜL - ICAZ** عن التركية

الترقيم الدولى: **I.S.B.N: 977-00-6366-5**

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٣/١١٤٤٠.

الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٦- المثنوى العربى النورى:

ترجمة كتاب **Meshevi i Nuriye** عن التركية

الترقيم الدولى: **I.S.B.N: 977-00-7972-3**

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٤/١٠٥٢٢.

الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٧- الملاحق فى فقه دعوة النور:

ترجمة كتاب **LAHIKALAR** عن التركية

الترقيم الدولى: **I.S.B.N: 977-00-5323-09-6**

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٥/٥٨٧٠.

الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٨- صيقل الإسلام فى فقه دعوة النور: ترجمة وتحقيق:

الترقيم الدولى: **I.S.B.N: 5332-11-X**

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٥/١١٣٥٤.

الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل

فهرس